370.1:H19mA

حمام، حسن.

التربية في البلاد العربية

370.1
H19mA

14 Jan 65

JAFET LIB.
10 APR 1991

1 JUN 1970

J. LIB.

JAFET LIB.
28 JAN 1993

370.1
H19mA
c.1

تقدمه
الى الاديب الكبير
البيربك اديب
مع اعمق التحيا

مستقبل التربية

في

البلاد العربية

تأليف

حسن حمام

خريج كلية دار العلوم ومعهد التربية العالي بالقاهرة

١٩٥٠

الى الامة العربية المندفعة نحو التحرر والتقدم ...

الى الاجيال الصاعدة ...

الى الشباب المثقف الذي يريد ان يتحرر من قيود كثير من العادات البالية ...

الى هؤلاء الفقراء الذين يتطلعون الى المساواة في التعليم والتربية بقلوب كسيرة ونفوس حسيرة ، وكلما امعنوا في طلبها واصاخوا بقلوبهم قبل آذانهم الى صوتها العذب ، بعدت ونأت عنهم ولا يقع في سمعهم الا اصداء رنات بعيدة ...

الى من يهيمن على شؤون التربية والتعليم فى البلاد العربية ...

اقدم هذا الكتيب ...

المقدمة

لم تكن الامة العربية في اي زمن من تاريخها اكثر شعورا بضرورة التعلم والتربية منها الآن ، فهي تشعر ان العلم اصبح ضروريا لحياتها كضرورة هذا الغذاء الذي يسري في دمها فيقوم حياتها ويحفظ بقاءها

نعم شعرت الامة العربية بضرورة العلم عند ما هبت وانتفضت من شبه جزيرتها تريد السيادة على العالم . وكان هذا الشعور — مع عوامل اخرى — حافزا لها ودافعاً وضروريا لبقاء سيادتها على البقاع التي فتحتها والتي كان اهلها اكثر تعلما منها . عند ذاك شعرت بنقصها هذا فانكبت على العلم واخذت تنهل منه نهلا وتعب عباً . ولكن رغم ذلك كله لم يسد العلم سيادته الآن في العالم المتحضر ولم يشمل التعلم جميع الطبقات وجميع الافراد شموله اليوم في البلاد المتمدينة . بل لم يكن التعليم منظما كتنظيمه في هذا العصر ، هذا التعليم الذي تشعر الامة العربية بضرورته وبوجوب شموله جميع افراد الامة على السواء لا فرق بين غنيها وفقيرها عظيمها وحقيرها ذكيها وبليدها . لا فرق بين العاجز والقادر ، بين المصاب بعاهة ما الذي يقعده مصابه عن طلب العلم وبين السليم غيره .

اصبحت الامة العربية تشعر بوجوب توفر العلم لكل فرد من افرادها كيفما كانت حال هذا الفرد ، ولكن هل يكفي هذا الشعور لتحقيق ما تصبو اليه ؟ كلا بل لا بد من ان تساعد هذا الشعور وتبرزه حقيقة واقعة الحكومات القائمة فتسهل لشعوبها ولجميع الافراد فيها ناحية العلم

ولقد اخذت الجماعات العربية وخصوصاً الفقيرة منها تدفع بابنائها الى التعليم . ولكن النظم التعليمية القائمة والنظام الاجتماعي المسيطر على الجماعات العربية في مختلف اقطارها والنظام السياسي الآخذ بالتواجد على الاعناق والفقر المدقع الذي لا يمكن صاحبه من ان يوفر لنفسه اللقمة فكيف بالمعرفة . كل ذلك لا يسمح للطبقات الفقيرة بالوصول الى العلم ، وان سمح لهم فبقدر ضئيل محدود لا يبل اواما ولا يذهب غصة ولا يروي غلة

هذا من الناحية التعليمية اما من الناحية الاجتماعية والتربوية ، فقد اصبحت الامة العربية تشعر شعوراً عميقاً بان نظامها الاجتماعي الحالي المبني على كثير من الظلم والفساد قد آن اختتامه وآن الاخذ بنظام يساير التطور الحديث ويساير النظم الجديدة السائدة في المجتمعات الاخرى المتقدمة

وهي كذلك ترى نفسها مقسمة الى دويلات وان هذه الدويلات منقسمة على نفسها . وان كل شعب من الشعوب العربية منقسم الى احزاب وجماعات وطوائف وشيع وعناصر مختلفة

وقد اخذ الافراد المثقفون في الامة العربية يبدون شكهم بقيمة النظم التربوية والتعليمية القائمة ويتطلعون الى الاصلاح في جميع مناحي حياتها عن طريق التعليم والتربية شريطة قلب النظم الآنيّة التي يكاد يصيبها العفن لقدمها وجمودها ، اخذوا ينظرون الى المدارس الموجودة حالياً ونظمها نظرة شك وريب في قيمتها وصلاحها لعلاج هذه الفوضى الخلقية وهذا الانحلال الاجتماعي الذي يتخبط فيه المجتمع العربي

لذلك اخذ جل الافراد المثقفون في الامة العربية يتطلعون الى نظام تربوي تعليمي اسمى بكثير من النظام الحاضر ـ ان كان في هذا النظام شيء من السمو ـ يأخذ بيد الامة فينظم لها حياتها ويقضي على هذا الانقسام

والتشتت بين جماعاتها وافرادها ويجمعها تحت لواء فكرة واحدة تعمل في سبيلها تاركة انانياتها الذاتية وعصبياتها الطائفية والاقليمية والحزبية والعائلية والعنصرية

ونحن نؤمن ان ليس هناك فكرة اعظم خطراً ولا اجدى نفعاً ولا اقوم ولا اسمى من فكرة القومية ، تكون لشباب الامة مثالا حيا يلتفون حوله يقدسونه ويقدمون الضحايا قربانا على مذبحه .

فلا بد اذن لاجل تحقيق هذا الشعور النابع عن الحاجات والضرورات للامة العربية من ان تأخذ بنظام تربوي تعليمي يعبر عن هذه الحاجات ويسعى الى تحقيق هذه الضرورات بحيث يوفر لجميع افراد الامة تعليما مشتركا تتكافأ فيه الفرص والظروف الواحدة بالنسبه لجميع الافراد حتى يستطيعوا ان يفصحوا عن مواهبهم واستعداداتهم الطبيعية وحتى تستطيع الامة الافادة من ذوى المواهب والعبقرية منهم . وحتى تصبح الاكثريه الساحقة من ابنائها رجالا كاملين او قريبين من الكمال يعملون لصالح امتهم وخيرها ويرفعونها فوق الاقوام الاخرى

والطبقات الفقيرة حين تحس بحاجتها الى التعليم وتتوق الى ان يسود مثل هذا النظام لا تطلب ربحا ماديامن ورائه ولكنها تبغي العدالةوالمساواة بين جميع الافراد فيها

ولقد اصبح الفقراء يشعرون بان العلم غير موفر الا للاغنياء او لمن يستطيع ان يدفع الاقساط المدرسية ، ومن يستطيع ان يشتري الكتب المدرسية الباهظة الثمن المتغيرة في كل عام واحيانا لا يكون هذا التغيير الا شكلياً

ولقد رأيت بام عيني احداثا يعملون ليلا وهم تلاميذ نهاراً او يشتغلون

في العطلة الصيفية حتى يستطيعوا ان يوفروا ثمن الكتب والحوائج المدرسية ويقتصدوا بعض الدريهمات كي تعينهم في حياتهم التعليمية الكثيرة التكاليف ومع ذلك فان اكثر هؤلاء بعد نضال عنيف وجهاد مرير لايستطيعون الاستمرار في تعلمهم فينقطعون عن العلم والدرس ليلتفتوا الى توفير قوتهم وقوت عائلتهم!

وهناك كثير من ابناء الفقراء = وما اكثرهم في الامة العربية = لا يعرفون ما هي المدرسة وما فائدتها ، لان اباءهم يعيشون في فقر مدقع وجهل مظلم وكفاك بهما دائين قاتلين ، فينشأ هؤلاء الابناء يعبثون في الحارات حيث يقتبسون كل منحط من الاخلاق والصفات ، وهكذا تخسر الامة العربية في كل عام الآلاف بل الملايين من الفتيان والفتيات الذين ربما كان على يد احدهم خلاص هذه الامة التي تتلفت وتتطلع الى مخلص ومنقذ لها من بؤسها وشقائها واضطرابها وتدهورها فلا تجد ولن تجد ما لم يشمل التعليم والتربية جميع ابناء الشعب اذ لا يكون هذا المنقذ الا من ابناء الشعب الذين هم اكثر شعوراً بآلام الامة واكثر تمسكا بوطنيتهم وقوميتهم من غيرهم

يجب اذن ان تأخذ الامة العربية بنظام تربوي تعليمي يعبر عن حاجاتها ويوفر لجميع افرادها تعليما واحداً مشتركا بحيث تتوفر فيه الظروف الواحدة بالنسبة لجميع الافراد حتى تستطيع الامة ان تنتفع من هذا التعليم فتتمكن بذلك من وضع يدها على النابغين النابهين من ابنائها وترفعهم الى اسمى المراتب وتقلدهم المناصب الجديرين بها والتي تتلاءم مع نبوغهم وعبقريتهم ومن ثم ترتفع الامة وتسمو

وانا حين اقول الامة العربية لا اريد شعباً من شعوبها كالسوري او

العراقي او التونسي مثلا ، بل اعني الامة العربية الممتدة من بحر الظلمات غربا حتى جبال زغيروس شرقا والبحر العربي جنوبا حتى البحر المتوسط شمالا ، وذلك لانني اعتقد انه يجب منذ الآن على من يريد ان يعالج مشكلة ما ، سياسية او اقتصادية او اجتماعية ان يعالجها بحيث تشمل هذا المحيط العربي برمته والامة العربية باسرها لا ان يعالجها معالجة خاصة بجماعة ممن يسكنون قطرا خاصا من اقطار العرب ، اذ يجب ان تعتبر الامة العربية وحدة كاملة من جميع النواحي وهي في حقيقتها كذلك لان الروابط التي تربط الشعوب العربية الساكنة في هذه الاقطار المختلفة كثيرة اهمها الصبغة العربية (وهي النسب والدم) واللغة والدين والعادات والتقاليد والجهاد في الماضي والحاضر والتطلع الى المستقبل ومجده والعواطف المشتركة ومظاهر الحياة جميعها ، وناهيك بهذه الروابط متانة وقوة

وليس لذلك فحسب بل لان الامة العربية بمختلف اقطارها اصبحت تشعر بهذه الروابط شعوراً قويا كما تشعر بضرورة تمتينها ولزوم معالجة مشاكلها معالجة اجماعية ليتم توثيق هذه الصلات وتلك الروابط

اذن يجب على كل من يريد ان يعالج مشكلة ما ان يبسطها على هذه المساحة الواسعة من الارض ويدرسها ويصف لها الدواء بما يتلاءم مع ظروف ومقتضيات واحوال سكان هذه الاقطار على اعتبار انهم امة واحدة وانهم ذوو مشاكل متقاربة ومتجانسة

وسوف يجد كتابي هذا كثيراً من الناقدين والمستبعدين تحقيق او امكان تحقيق او تطبيق مثل هذه الخطة او هذا النظام الذي سأتحدث عنه وقد يصفه كثير منهم بالخيال ، ولكني اقول انه بعيد عن الخيال قريب من الواقع جدا وخصوصا عند وجود العزم والاخلاص ، وان كانت الامة

العربية لا تستطيع تنفيذ مثل هذا المشروع في الوقت الحاضر لفقرها المادي وحاجتها الى رجال مختصين بامور التربية ، الا انها قد تستطيعه في المستقبل وخصوصا اذا خلصت النيات ووجد العزم كما قلت ، وهي تستطيع الآن ان تأخذ ببعضه كخطوة اولى في سبيل تنفيذه

وانني اعتقد ان مثل هذا المشروع هو خير اداة لاصلاح المجتمع العربي في مختلف بيئاته بل خير اداة لخلق الامة العربية وبعثها حية قوية وخير وسيلة لايجاد مجتمع عربي راق ، والاصلاح عن هذه الطريق اقصر مدى واقوم من اي اصلاح آخر يأتي عن اية طريق اخرى ، فنحن في حاضرنا نحتاج الى الطفرة حتى نستطيع ان نجاري الامم الاخرى رقياً وحضارة وعلما وخصوصاً ذلك العدو الذي حط رحاله في جوارنا واخذ يهدد اقدس مقدساتنا امتنا ووطننا

وقد تكون بعض هذه الاراء والنظريات التي اوردتها موجزة وتحتاج للمناقشة والتوسع والدراسة الشاملة ، الا انني اعتبرها خطوة في سبيل دراسات اوسع واشمل او دعوة الى المفكرين والمربين في البلاد العربية لمعالجة هذه النواحي بصورة واسعة شاملة

وحاله الامة العربية الآن وما تتخبط فيه من امراض اجتماعية وقومية تدعو الرجل المخلص الى التفكير في هذه الامراض والعمل السريع على ايجاد الدواء لها ولا دواء ناجع لها الا التربية

لهذا جئت بهذا الكتيب ولا ازعم انه يضم بين دفتيه الدواء المبريء الشافي ولكني ارجو ان يكون عنصرا من عناصر هذا الدواء الذي انادي واهيب بالمفكرين والاطباء الاجتماعيين العرب على ان يضيفوا الى هذا العنصر عناصر اخرى قد يرونها مكملة له حتى يتم تركيب الدواء الحقيقي

الفعال الناجع لهذه الامة ويتم انتشالها من المرض الخطير المستحكم فيها .

وان ظهر في هذا الكتيب شيء من الاضطراب فذلك يرجع لضيق الوقت الذي الف فيه وللفترة المضطربة من حياتي التي فكرت في ايجاده فيها ، وهي فترة ضياع فلسطين، ففلسطين وما حصل فيـــها وما ظهر على مسرحها من عيوب ومساوىء ، كشفت النفسية العربية على حقيقتها واظهرت تأخرها وفسادها وانحطاطها وعدم صلاحيتها للقيام بالاعباء الثقيلة الملقاة على كاهلها في هذا العصر

كل ذلك جعلني اعمل على التفكير الجدي لوضع نظام تربوي تعليمي اجتماعي شامل ليخرج لنا جيلا صالحا واعياً ساميا بافكاره واخلاقـــه ووطنيته وقوميته وعلمه وفنه .

وعسى هذا الكتيب يحظى بالقاء نظره او تقدير من الرجال العـاملين ليحاولوا ان يعملوا بموجبه .

الفصل الاول

التربية

هي ايقاظ القوى الكامنة في الفرد وترقيتها وتهذيبها تدريجياً حتى تبلغ اقصى ما يمكن ان تبلغه من الكمال ، فهي تغيير مستمر فى حياة الفرد . وهي تشمل جميع المؤثرات والعوامل التي تساعد الفرد على بلوغ غاية امكانياته

فالكائن الحي بصورة عامة والطفل بصورة خاصة يحتاج منذ ولادته الى من يعاونه في حياته الطفلية حتى يبلغ اشده ويصبح قادراً على الحياة وسط البيئة التي يعيش فيها ، وقد زود الله الطفل بكثير من الميول الفطرية والمواهب والاستعدادات وجعلها عدته وسلاحه في الحياة . وهذه الميول الفطريه تحتاج الى تدريب وتهذيب وترقية حتى تسمو عما هي عليه وتصبح ملائمة للبيئة التي يحيا فيها الفرد ، اي ان الفرد يحتاج الى التربية

والطريق التي يسلكها الناشيء في حياته المستقبلة وما يحوط هذه الطريق من ريحان او شوك وما يجده من بؤس او سعادة وما يلقاه من نجاح او اخفاق كل هذا يتوقف على مبلغ ما يناله من تربية وما يستمده من تجربة .

وليست التربية ترفاً يمكن العيش بدونه او متاعا قليل الجدوى يمكن الاستغناء عنه ، بل هي ضرورية للفرد او هي ضرورية اجتماعية كما قال عميد

التربية في العصر الحديث « جون ديوي » فالمجتمع لا يستطيع ان يتخلى عنها اذا اراد لنفسه البقاء والحياة والاستمرار لانها الصله بين الاجيال السابقة والاجيال اللاحقة ، وهي واجب على الجيل العامل المربي ازاء الجيل الجديد النابت الذي هو في حاجة الى التربية كي يكتسب فيها احسن الصفات الموروثة والعادات الحسنة والاخلاق الحميدة ، فهي امانة في عنق الجيل الحاضر يجب ان يؤديها الى الجيل المستقبل كاملة تامة ، كما يجب ان يبذل اقصى ما في وسعه ليقدم الى الجيل المستقبل ارقى ما وصلت اليه تجاربه وعلمه وخلقه ومثله العليا وان لم يفعل عد خائناً بحق الاجيال المتلاحقة . فالتربية كالغذاء فكما ان الانسان لا يستطيع ان يعيش دون غذاء كذلك لا يستطيع ان يعيش عيشة راقية مهذبة دون تربية وخصوصاً في عصرنا هذا

ولا بد للتربية من مرب والمربي كالبستاني ، فالبستاني يبدأ بالبذور فيمد لها التربة الصالحة ويتعهدها بالسقي ونحوه حتى تنمو نمواً حسناً وتخرج شطأها وتؤتي اكلها ، وكذلك المربي يأخذ الاطفال ويعد لهم البيئة الصالحة لتربيتهم التي هي بمثابة التربة للبذور ، الا ان عمله هنا يختلف عن عمل البستاني في انه يجب عليه ان يعرف طبائع بذوره بذرة بذرة حتى يمكن لكل واحدة منها في الارض ويهيء لها الوسائل الخاصة التي تناسبها وتدفعها في هوادة ورفق نحو الحياة المثمرة المنتجة والراقية المهذبة بالنسبة للفرد .

وكثيراً ما تستعمل كلمة (التعليم) مكان كلمة (التربية) او مرادفة لها في حين ان التربية تدل على معنى النمو والتطور والنضج اما التعليم فيدل على التدريب والتلقين واعطاء المعلومات ، كما ان هناك عوامل كثيرة عظيمة التأثير في الطفل وتربيته . يظهر عملها قبل ان يذهب الناشيء الى المدرسة

وبعد ان يتركها . فالطفل يترك المدرسة قبل ان يستكمل نموه فيكون ميدان العلم امامه لا يزال متسعاً ، وكل عمل المدرسة انها تمده بقليل من العلم يتخذه اساساً لفهم تجاربه في المستقبل ويستعين به في فهم ما يعترضه من شؤون الحياة ، ولكن بما انه يجب ان يراعى في اعطاء هذه المعلومات الوصول بالناشيء الى النمو والتطور والنضج الجسمي والعقلي والخلقي كما نصل بالنبات الى النمو والنضج ، لذلك جاءت العلاقة بين التعليم والتربية وجاء استعمال كل كلمة منهما مكان الاخرى

فيجب اذن ان تكون وسائل التعليم والتدريس موصلة الى هذه الغايات الثلاث ، اي ان تقترن وسائل التعليم بوسائل التربية ، وهـــذا يقتضي شروطاً خاصة اذا لم تراع فان الفرد يقف عند مرحلة محدودة في حياته الخلقية والاجتماعية فلا يبلغ كماله المنشود .

ولقد ادى هذا الخلط وعدم الدقة في استعمال معنى اللفظين على مر الايام ان اصبحت التربية تعليما فحسب ومنصبة على ما يعطي من المعلومات النظرية المحدودة بين جدران المدرسة ، واصبحت المدرسة بعيدة عن الغاية التي انشئت لاجلها وهي التربية والتعليم معاً ، بل ومكان للاصلاح ايضا تصلح بما يسودها من جو خلقي وتربية فاضلة البيئة الخارجية

وقد تنكبت المدرسة عن هذه الطريق طريق الاصلاح والتهذيب وسارت على طريق فهم ان التعليم هو التربية وخصوصا في البلاد العربية حتى اصبحت المدرسة ميدان تعلم فقط لا ميدان تعلم وتربية . واستطيع ان اجزم بما رأيته وخبرته في هذه السنين القليلة التي مارست فيها مهنة التعليم ان البيئة المدرسية الخلقية والتنظيمية والاجتماعية ليست احسن حالا من البيئة الخارجية بل هي ممثلة لها ادق تمثيل وربما كانت بيئة المدرسة اكثر

اضطرابا وتأخراً فى هذه النواحي من البيئة الخارجية . ويمكنني ان اجزم كذلك بان المدارس التي يسودها جو تربوي صحيح قليلة جدا في البلاد العربية ان لم تكن مفقودة . ورب قائل يقول : اذن ما ذا تعمل جميع هذه المدارس المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، فاقول انها تعلم ولا تربي وهذه هي الحقيقة وما اقسى الحقيقة في كثير من الاحيان ، وللحقيقة اقول ايضا ان هناك بعض المدارس تبذل جهوداً جبارة في سبيل خلق جو تربوي فيها الا ان (للاسف الشديد) جميع ما تبـــذله يذهب ادراج الرياح امام العواصف التي يثيرها في وجهها البيت والشارع فتأتي هذه العواصف الرعناء على كل نبتة تكون قد غرستها المدرسة في نفوس تلاميذها ، فتذوى هذه النبتة وتتراكم عليها رمال محرقة من صحراء البيت والشارع المقفرين من وسائل التهذيب والتربية المليئين بكل ما يفسد الخلق ويحط سمو النفس

وانني لا اريد ان اضرب امثلة على مقدار انحطاط البيت والشارع في اسرتنا ومجتمعنا الحاليين ، فالامثلة كثيرة وظاهرة لكل ذي عين ، وكل ما يجب علينا عمله هو ان نسرع في تدارك هذا الانحطاط وهذا التدهور والا كانت له نتائج جد وخيمة على مستقبلنا من حيث اننا امة تسعى وتطمح لاعادة مجدها الغابر وعزها التليد على ايدي هؤلاء الذين نريد ان نربيهم احسن تربية

وتكون الحقيقة اكثر ايلاما اذا قلت ان هذه المدارس لم تنجح النجاح التام حتى في اعطاء المعلومات ايضا ، وما ذلك الا لان المنـــاهج والمواد الدراسية توضع بحيث لا تتلائم مع ميول التلاميذ ومواهبهم واستعداداتهم واعمارهم . كما ان طرق التدريس نفسها لا يراعى فيها الطرق الحقيقية التي يجب ان تتبع ، فاكثر مدارسنا لا تزال تسير على الطرق القديمة فى التعليم

وهي الطرق التلقينية حتى في المدارس الابتدائية ، وقد يكون هناك بعض النزوع والرغبة في التخلص من هذه الطريقة في بعض المدارس النموذجية الابتدائية في مصر والعراق الا ان هذه المدارس قليلة جدا ولا تزال في بداية تجربتها بحيث لا يمكن ان يحكم عليها او يمكن ان تدخل في حديثنا بصورة عامة .

ثم ان اخفاق المدارس في التعليم وخصوصا الابتدائية منها يرجع الى ضعف كثير من المدرسين وعدم معرفتهم بطرق التدريس وجهلهم التام لامور التربية - وهذا في سوريا وفي غيرها من البلدان العربية غير مصر والعراق - ففي سوريا لا تزال وزارة المعارف تأخذ اكثر معلمي المدارس الابتدائية من حملة شهادة الكفاءة (وهي اقل ثقافة من شهادة الثقافة المصرية وادنى من الشهادة الثانوية بسنتين في النظام السوري) وهؤلاء ضعاف في تعليمهم وثقافتهم حتى انهم لا يحسنون كتابة بضعة اسطر دون ان يقعوا في اخطاء املائية ونحوية كثيرة ، فكيف يستطيعون ان يعلموا اطفالا تعليما صحيحا مفروضا فيه ان يكون مقترنا بوسائل وطرق تربوية وخصوصاً في المدارس الابتدائية ، هذا عدا عن جهلهم بقواعد التدريس التي يخبطون فيها خبط عشواء الليل

ومثلهم في هذا المعلمون حملة الشهادات الثانوية ، فهؤلاء وان كانوا اكثر ثقافة من اولئك الا انهم تنقصهم طرق التدريس وعلوم التربية حتى يستطيعوا ان يسيروا في تعليمهم على هدى ونور ونستطيع ان نرجو منهم نفعاً وخيرا .

ولا ادري لماذا تسمح وزارة المعارف السورية لنفسها بتعيين معلمين من حملة الشهادة المتوسطة او الثانوية دون ان يتخرجوا من دور المعلمين

الابتدائية رغم وجود مثل هذه المدارس في سوريا ، وليس حجة لها ان تقول انها بحاجة ماسة الى المعلمين بسبب التوسع في التعليم فبامكانها ان تزيد في عدد طلاب دور المعلمين بحيث يمكنها ان تخرج في كل سنة عددا يسد حاجة المدارس الابتدائية

ومن اسباب اضطراب التعليم في سوريا ايضا انتداب بعض مدرسي التعليم الابتدائي ذوي الثقافة المحدودة الى التعليم الثانوي فوقع الاضطراب في كلا التعليمين الابتدائي والثانوي واصبحت العناية بالمدارس الابتدائية لا توجه الا الى الصفوف المنتهية وتكون هذه العناية بحشو ادمغة التلاميذ بالمقررات حشواً وبصورة مضطربة فلا تأتي نهاية السنة المدرسية حتى يكون ذهن التلميذ قد انتفخ من الورم ، وعلى ورقة الامتحان يسكب ما في رأسه من صديد

ثم ان ضعف الاشراف على المدارس وعلى سير التعليم عامل هام في تأخر التعليم فكثيراً ما تمضي السنة ولا يزور المفتش المدرسة واذا زارها تكون الزيارة لشرب فنجان من القهوة وتبادل المجاملات وليس غير

هذا في التعليم الابتدائي اما في التعليم الثانوي فيحضر المفتش في نهاية السنة بعد ان يكون اكثر التلاميذ قد انصرفوا الى بيوتهم للاستذكار - كما يدعون - وعند ذلك يضطر مدير المدرسة الى جمع قسم كبير منهم بحيث يقوم المدرس بالقاء درس عليهم امام المفتش ، وقد لا يستغرق وجود المفتش داخل قاعة الدرس اكثر من خمس دقائق يقف فيها صامتا احيانا واحيانا يتولى المفتش نفسه في القاء الدرس حيث يصرفه في التحدث عن نفسه وعلمه ورحلاته وجولاته ومكانته الاجتماعية ، وفي نهاية ذلك يلقي بضع كلمات يثني بها على المدرس ثم يخرج ليعد تقريراً مفصلا عن هـــذا

المدرس وشخصيته وعن طريقة تعليمه ثم عن المدرسة بصورة عامة

اما عن كيفية نجاح التلاميذ من صف لآخر وضعف علامات النجاح فلا اريد ان اتحدث عنها في مثل هذا الكتيب لان ذلك يقتضي دراسة واسعة وعميقة اتركها لفرصة اخرى

ومن عوامل تأخر التعليم ايضا ضعف السيطرة على التلاميذ وخصوصا في المدارس الثانوية سواء اكان هذا الضعف من وزارة المعارف ام من الادارة المدرسية ام من المعلمين ، حتى اعطى هذا الضعف اسوأ النتائج اذ انتشرت الفوضى في المدرسة واصبح التلاميذ يتعصبون ضد المدرسة وضد المعلمين احيانا وضد الوزارة احيانا كثيرة واصبحوا يفرضون ارادتهم على من يشاءون وما اكثر الحوادث التي وقعت وستقع نتيجة لذلك وكذلك هناك عوامل كثيرة تسبب التأخر في التعليم وتعرقل عمل التربية عند الامة العربية منها ان يتولى التعليم من ليسوا اهلا له . ففي كثير من البلاد العربية تتخذ كثير من المدارس وسيلة من وسائل التجارة والربح وكثيرا ما يديرها ويقوم بامور التعليم فيها اناس لا يفقهون من العلم شيئا فقد اكتشف مرة ان رجلا خبازا ليس بيده اية شهادة يدير مدرسة ابتدائية في القاهرة (١)

وقد قيل لي مرة في القاهرة ان مدرسي احدى المدارس الاهلية ورأسهم الناظر (المدير) كانوا يعملون في تزوير اوراق النقد المصري وقد القت الحكومة القبض على هؤلاء جميعاً واقفلت المدرسة

ومنها (الكتاب) المنتشر في جميع البلاد العربية مدنها وقراها لان الذي يدير هذا الكتاب ويسمونه في بلاد الشام بالشيخ وفي مصر بالسيد يجهل ابسط القواعد التربوية وفي احيان كثيرة لا يجيد او يحسن القراءة

---

(١) روح التربية والتعليم - ابراشي - ص ٢٠٢

والكتابة وتقوم طريقته على القسر والشدة والضرب المبرح وشد التلميذ (بالفلق) واستخدام التلاميذ الكبار في تعليم رفاقهم الصغار دون ان يزداد اولئك الكبار تعلماً

وكذلك اعتقد ان الازهر في وضعه وانظمته الحاليـــة في القاهرة وفروعه في المدن والاقاليم المصرية والمعاهد الشبيهة به في البلاد العربية وسيلة من وسائل تأخر العلم الصحيح الذي يجب ان تتسم وتنطبع به البلاد العربية باسرها . ومعنى العلم الصحيح هو العلم الذى تحتاجه البلاد العربية علم الدنيا ، علم المكتشفات ، علم هذه الطبيعة المليئة بالاسرار والعجائب فقد اصاب مكاتب البلاد العربية تخمة من كتب العلوم الدينية واللغوية وكلها لا تخرج عن خلافات في توافه الامور واختـــلاف على الالفاظ وسفسطة لا لب فيها ولا روح

فالامة العربية الان في حاجـــة قصوى الى العلماء الذين عنتهم الاية الكريمة : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اهل يستوي الذين يعلمون اسرار الطبيعة ويتحكمون فيها ويغوصون الى اعماقها يستخرجون غوامضها والغازها حتى وصلوا الى القنبلة الذرية وحتى ملكوا ناصية الريح وركبوا عنان السماء والهواء ، هل يستوي هؤلاء واولئك الذين يشققون الالفاظ ويتجادلون على الحروف ويؤلفون في نواقص الوضوء والمسح على الخفين ويحفظون المتون والشروح ويروون عن فلان عن فلان وقلوبهم خاوية خالية مما قال فلان وروى علان ، اللهم لا والف لا .

ولو ان هؤلاء المتخرجين من الازهر وغيره يقومون بجزء يسير مما يفرضه عليهم الدين لهان الامر ولكنهم يتهافتون على الوظائف الدينيـــة وما اقلها بالنسبة لعددهم الكثير ، وليس في ذلك التهافت ذنب عليهم لانهم يريدون ان يعيشوا ويضمنوا لنفسهم مقومات حياتها ولكن الذنب الاكبر

يعود على تلك الرؤوس الموجهة المسيطرة التي لا تحسن استغلال نشاط هؤلاء الشباب ولا تحسن توجيههم بما يعود على الدين الاسلامي والمسلمين والعرب بالخير الجزيل

واذا بقينا سائرين على هذه الخطة في اعداد رجال الدين اصبح لدينا جيش عرمرم منهم وربما نشأت لدينا مشكلات اجتماعية دينية جديدة ان لم تكن ناشئة وموجودة في الوقت الحاضر

ان بضعة رجال عاملين مخلصين يقومون بنشر الدين ويكافحون روح الالحاد في مجتمعهم والمجتمعات الاخرى لاكثر فائدة للدين واعظم اجراً لرجاله عند ربهم وامتهم من وجود جيش كبير متقاعس ، فالازهر في نظري يجب ان يكون هو وغيره من المعاهد الشبيهة به في البلاد العربية معاهد علمية محضة ومدارسه الثانوية يجب ان تظهر فيها الناحية العلمية اقوى مما هي عليه الان في المدارس الثانوية الرسمية وتصبح الكليات العالية جامعة تكون مكانا للبحث العلمي الصحيح ومكانا للمكتشفات العلمية كسائر جامعات العالم ، وبامكاننا ان نخصص احدى الكليات للدراسة الدينية ونجعل لها بعض الامتيازات المادية حتى نرغب الطلاب في الدراسة فيها

اما ان يبقى الازهر وغيره يخرج لنا رجالا بهذه الكثرة الهائلة والعدد الوافر عليهم صبغة الدين ثم لا يجد اكثر هؤلاء الرجال ما يضمن لهم حياتهم ومعيشتهم الا بشق النفس وبصورة تأباها النفس الكريمة واحيانا لا يجدون فهذا شيء لا يمكن السكوت عليه .

هذه العوامل التي ذكرتها تؤثر تأثيراً سيئا وقويا في تقدمنا العلمي والتربوي وفي توجيهنا الاجتماعي ، فيجب العمل على ازالتها بصورة سريعة لنستطيع ان نقول ان في مدارسنا شيئا من التربية والعلم وان مجتمعنا يسير نحو التقدم والازدهار

الفصل الثاني

اهمية التربية و التعليم

ان للتربية شأناً عظيما في حياة الفرد والجماعة فهي اساس رقي الفرد وسعادته بل هي اساس قدرته على الانسجام والتلاؤم بين افراد مجتمعه . وهي كذلك اساس رقي المجتمع ونهوضه اذ متى كان الافراد مهذبين منسجمين واعين سار المجتمع في طريق الرقي والتقدم المضطرد .

ولقد ادر كت الامم الاجنبية قيمة العلم والتربية من زمن بعيد فراحت تعني بأمور التربية وراح علماؤها يدرسون مشاكلها ويبحثون عن احسن الطرق والمناهج التي يمكن تطبيقها لاخراج جيل يكون جميع افراده منشئين احسن تنشئة .

والتعليم والتربية حق من الحقوق الفردية يجب على الدولة ان توفرها لجميع الافراد لافرق في ذلك بين اية طبقة من الطبقات او جماعة من الجماعات او عنصر من العناصر او طائفة من الطوائف التي تتألف منها الامة او الشعب . بل هما حق انساني فان لم تستطع دولة ما ان توفرها لجميع افرادها وجب ان تشترك معها الامم الاخرى حتى تمكنها من ذلك . وتمكنها من ان ترفع مستوى شعبها الى مستوى الشعوب الاخرى حتى تكتمل الصفة الانسانية لدى جميع الافراد في الامم والشعوب المختلفة .

ومن ثم تقوى اواصر الاتصال والتفاهم والتعاون بين جميع الامم فيحل الانسجام والوئام والسلام محل التنافر والخصام .

وقضية التربية والتعليم بالنسبة للعالم العربي اليوم هي القضية الهامة الحيوية التي تمس كيان الامة العربية ويتوقف عليها بقاؤها وحياتها . لانه لم يعد باستطاعة امة جاهلة متأخرة في تربيتها وتعليمها ان تعيش بين امم احرزت القدح المعلى وبلغت السماكين فيهما . بل ليس بامكان امة جاهلة كالامة العربية ان تساير ركب الحضارة السريع دون ان يصيبها خفقان في القلب ودوار في الرأس منذ الخطوة الاولى . فلا تستطيع الا ان تقع جاثية على ركبتيها امام الامم المتعلمة المتحضرة الراقية لتعمل هذه فيها مخالبها وانيابها وتمتص دماءها ثم تلقيها جثة لاحراك فيها . او قد تتركها جثة ضعيفة هزيلة لتأمرها فتطيع وتستعبدها فتخنع وتذلها فتنحني ، وهذه الصورة ظاهرة واضحة في الشعوب العربيه وغيرها .

فيجب على الامة العربية ان تجعل التعليم والتربية هما القضية الهامة القضية الاولى التي يجب ان تنصب وتنصرف جميع الجهود وتتكاتف جميع القوى في سبيل تعميمهما .

والتربية لاتنحصر في المدرسة او البيت فقط بل تتعداها الى الشارع والملعب والبيئة الاجتماعية باسرها ، والامة التي تريد ان تعنى بامور تربية شعبها يجب ان تجعل التربية شاملة لجميع مناحي حياة الامة سواء في ذلك المدرسة والبيت والمجتمع الخارجي .

ولو اردنا ان نلقي نظرة على الامه العربية الان وعلى ما وصلت اليه من كلا الناحيتين التربوية والتعليمية في كل من المدرسة والبيت والمجتمع لوجدنا انها في تأخر شديد واستطيع ان اقول انها في مؤخرة الامم .

فاما من ناحية التربيه المدرسية فليس هناك شيء اسمه تربية فالمدرسون لايعرفونها وان عرفوها فلا يتعرفون عليها ولا تقترب من اساليبهم وطرقهم ومعاملاتهم . فاكثرهم يسير عفو الخاطر وحسب ما تمليه عليه الظروف لاحسب خطة ومبادىء تربوية عامة معروفة . وهم يسوسون الاطفال والفتيان سياسة مستحكمة فيها العادات القديمة من استبداد وتحكم وقسوة وقتل لشخصية التلميذ وكبت لعواطفه وعدم فهم لميوله وحاجاته ونوازعه النفسية وقلة عناية بجسمه وعقله ولسانه ويده . واكثر معلمي البلاد العربية في الوقت الحاضر - اذا استثنينا مصر - معلمون مخضرمون متأثرون بالافكار القديمة والتربية العثمانية الاستبدادية لذلك نرى تربيتنا في تأخر مضطرد في حين اننا نود ان نكون في تقدم مستمر سريع .

وهؤلاء المعلمون وان كان بعضهم قد تلقى بعض المبادىء التربوية الا انه عند ما يتعامل مع الاطفال والفتيان يجرد نفسه عنها ويضعها جانبا وذلك في سبيل حفظ شخصيته وحفظ هيبته كما يدعي . ففي سبيل حفظ شخصيته وهيبتها وسيادتها يجب ان يكون عبوسا جافا . يتكلم من اعلى والفتى من دونه يحاول ان تكون له سلطته عن طريق السيطرة والقسوة لا عن طريق المحبة والتفاهم .

والجو المدرسي خال من دراسة نفسيات الاطفال خال من تفهم حاجاتهم ونوازعهم النفسية خال من العمل للاصلاح عن طريق تفهم نفوس التلاميذ ومعالجة هذه النفوس بحسب ما تتطلبه .

هذا بالاضافة الى التذبذب وعدم الثبوت في معاملة التلاميذ . فلكل تلميذ معاملة خاصة ، لا بناء عن دراسة نفسية ، بل بحسب ما تشغل عائلته من مكانة او حسب ما يكون لوالده او احد اقربائه من سلطة او

حسب ما يكون عليه التلميذ من شراسة وقوة . وهذه الظاهرة الاخيرة اكثر ما تتمثل في المدارس الثانوية لان التلميذ لايظهر شراسته الا عند ما يشعر بقوته الجسدية .

والتلميذ ذو المكانة العائلية يستطيع ان يسرح ويمرح ويحل لنفسه ما لا يحل ويعتدي على القوانين المدرسية ، وكثيرا مايصيب المدرسين رذاذ من شراسته ورعونته ! ثم رغم كل ذلك يستطيع هذا التلميذ ان يكون بنجوة من العقاب وحتى اللوم . وكثيرا ما يقوم امثال هؤلاء التلاميذ - وهم كثر - باعمال مقصودة حتى يسترعوا انتباه اخوانهم ويلفتوا نظرهم ويظهروا بمظهر المفتخر غير المبالي بالقواعد والقوانين وحتى بالمعلمين والادارة التي تقف مكتوفة اليدين لاتستطيع ان تعمل شيئاً وان همت بالعمل جاءها الوحي بالكف عن ذلك .

لذلك اصبح التلاميذ يشعرون شعوراً قوياً بهذا الجو من المعاملة المذبذبة واصبحوا يظهرون تأثرهم وتألمهم من معاملتهم معاملات مختلفة ، حتى اصبحت تصدر عنهم الفاظ وتصرفات تدل على النقمة على المجتمع المدرسي وعلى القائمين عليه . وهم قطعاً يتأثرون بهذا الجو وهذه المعاملة وينقلونها الى خارج المدرسة حيث يكون سلوكهم منطبعاً بطابعها .

من هذا ومن مظاهر اخرى كثيرة يضيق المقام عن ذكرها نستدل على ان ليس في داخل مدرستنا عدل اجتماعي ، هذا العدل الذي نريده ان يسود حياة الامة العربية باسرها ، او على الاصح ليس في داخل المدرسة جو تربوي . وانعدام العدل الاجتماعي او فقدان الجو التربوي داخل المدرسة يدفع التلاميذ الى الاستهتار بالمدرسة ونظمها ويجعلهم يكرهونها ويكرهون بعضهم ويكرهون اساتذتهم وينفرون منهم ، بل يجعلهم هم

والمدرسة في حرب دائم اذ يشعرون بعدم الاطمئنان اليها والى من فيها ومن ثم تنشأ انواع من السلوك الشاذ لديهم كاعتداء بعضهم على بعض والسرقة والكذب والغش والكراهية والحقد والاعمال الجنسية الشاذة الى غير ذلك من الصفات والاعمال وعند ذاك تصبح المدرسة اداة سيئة يجب ايقافها عن العمل . وهذا عين ما هو موجود وحاصل وما يضطرب به الجو المدرسي في البلاد العربية وخاصة جو المدارس الثانوية في جميع البلاد العربية وفي سوريا بشكل خاص .

فلاجل ان يسود العدل الاجتماعي في المدرسة وينمحي هذا التمايز بين التلاميذ ومن ثم نقضي على هذه العيوب التي ظهرت لنا نتيجة للتذبذب في المعاملة ونتيجة للتفرقة بين التلاميذ يجب ان يسود المدرسة جو ثابت من المعاملة مبني على الحب والعطف والتقدير ووضع قيم خاصة ثابتة لمظاهر سلوك التلاميذ المختلفة حتى نجعلهم يتعشقون المدرسة واساتذتها ويعملون على حفظ النظام فيها فتسود المحبة والاخاء بينهم ، ثم ينتقل كل ذلك الى المجتمع الخارجي فتكون المدرسة عند ذاك اداة اصلاح وتقدم حقا .

وبما ان طرق التدريس متصلة اتصالا مباشراً في تكوين السلوك والاخلاق كان لها اثر كبير في تكوين التلاميذ وتوجيههم واستقرارهم ازاء عملهم وتقبلهم له واقبالهم عليه وشغفهم به واعتمادهم على انفسهم .

فاذا كانت اساليب التدريس وطرقه تستميل التلاميذ وتثير نشاطهم وتوجيههم توجيها منتجاً . بل تدفعهم الى الانتاج بذاتهم معتمدين على انفسهم ونشاطهم الداخلي فان التلاميذ عند ذاك يشعرون بغبطة وسرور تتولد معه ثقتهم بنفسهم واحترامهم لذاتهم كلما احرزوا نجاحاً ، وان اخفقوا تدفعهم الى تكرار المحاوله حتى يتغلبوا على المشاكل والعقد التي

تعترضهم ، واستطيع ان اقول ان ليس هناك مخفق اذا كانت اساليب التدريس وطرقه ونظم التعليم ومناهجه تسير وتوضع كما يجب ان توضع وكما سنبينه في هذا الكتاب

ففي اساليب التعليم المبنية على نشاط التلميذ الذاتي وتوزيع التلاميذ بحسب قواهم العقلية وذكائهم الفطرى وبحسب اعمارهم وميولهم في كل هذا تنعدم معه المشكلات التي تظهر في الاساليب والنظم العادية المتبعة الآن اذ في النظام الحاضر يحشر التلميذ الذكي الى جانب التلميذ ذي الذكاء العادي او دون المتوسط كما يحشر ابن العاشرة مثلا الى جانب ابن الرابعة عشرة او الخامسة عشرة ، وهذا الاخير مع ابن الثامنة عشرة ، كما يحشر ذو الميل العلمي الى جانب ذي الميل الادبي وهكذا كأن الصف حانوت بقال تبعثرت فيه السلع الثمينة الى جانب السلع البخسة واختلط بعضها ببعض

في صف مثل هذا لا يستطيع التلميذ ذو الذكاء المتوسط ان يجاري التلميذ الذكي ولا من هو دون المتوسط في ذكائه ان يجاري تلميذاً متوسطاً في ذكائه ، وهنا يصبح التلميذ الضعيف اداة عرقلة في الصف ، فاذا اراد ان ينتبه ويستفيد فلا بد ان يسأل المعلم اعادة الشرح مرة او اكثر حتى يستطيع ان يفهم واحيانا يخشى من تكرار السؤال فيسكت على مضض ، واحيانا كثيرة يعجز عن متابعة الدرس فيغفل عن الشرح ويشرد ذهنه في نواح كثيرة واكثر ما تكون نواحي جنسية ان كان التلميذ بالغاً ، او انه يلتفت الى احد رفاقه ويعبث معه ويلهيه عن متابعة الدرس .

وكذلك هناك ناحية الميل فتلميذ يميل الى هذه المادة لان مواهبه وميوله الفطرية متفتحة لمثل هذه الناحية فيقبل عليها ويتفهمها بسرعة

وسهولة ويطلب المزيد الا ان الدرس لايسمح باعطائه مزيدا عن ذلك لان هناك من لم يفهم الدرس تماماً ويجب اعادته مرة وثانية وثالثة واحياناا كثر من ذلك حتى يتمكن الضعيف او عديم الميل الى هذه المادة من الفهم .

وهنا نكون قد قتلنا وقتا ذا قيمة كبيرة بالنسبة لذلك التلميذ الاول الذي حكمنا عليه ان ينتظر من هم ادنى من مستواه العقلي او من هم لاميل لديهم نحو هذه المادة ولكنهم مجبرون على دراستها كي ينجحوا في الامتحان .

فاذا لم تكن اساليب التدريس تثير نشاط التلاميذ الذاتي واذا كان تقسيم التلاميذ غير مراعى فيه اختلاف القوى العقلية والاستعدادات الفطرية والميول الطبيعية واختلاف السن فانك تجد جو الصف مملا مضغوطاً يحتاج المدرس فيه الى بذل جهد كبير في اعطاء المعلومات وتوصيلها الى اذهان التلاميذ المختلفين . والى فرض سلطة وسيطرة قد تكون ممقوتة عند التلاميذ حتى لايدع مجالا لعرقلة الدرس والتشويش ، فيسير الدرس في جو من الهدوء المصطنع والكبت المكروه . ومتى انتهت فترة الدرس التي يكون التلاميذ منتظرينها بفارغ الصبر خرج التلاميذ الى ساحة المدرسة هائجين هياجاً لانظام فيه وكانهم انطلقوا من قفص ضيق يبحثون عن انواع من اللذة غير الصحيحة او القويمة .

واما المعلمون الذين قيل فيهم « كما يكون المعلم تكون المدرسة » فقد تكلمت عن كيفية اختيار كثير منهم في سوريا في التعليم الابتدائي اما في التعليم الثانوي فليس الامر احسن من سابقه اذ ان الا كثرية الساحقة من معلمي الثانوي هم معلمون ابتدائيون كفاءتهم العلمية تعادل شهادة التعليم الثانوي الحالية انتدبوا للتعليم الثانوي بعد انقضاء بضع سنين عليهم

في التعليم الابتدائي ثم حصل بعض الملابسات والمداخلات (والتصنيفات كما يقولون فثبتوا في التعليم الثانوي واصبحوا يرتعون في مرتبة حملة الشهادات العليا بل واكثر ، ولم يكتفوا بهذا ايضا بل تعدوا الى الوظائف الادارية والتوجيهية يوجهون شؤن التعليم وسياسة التربية ويالله من توجيه صحيح وسياسة حكيمة ..

وكذلك تأخذ وزارة المعارف السورية في كل عام عددا من حملة شهادة الحقوق ليقوموا بتدريس التاريخ والجغرافيا والاخلاق والمعلومات المدنية وكثيراً ما يعتدون على مواد اخرى . اما حملة الشهادات العليا في المادة التي يدرسونها (وهؤلاء ينعتون بالاختصاصيين) وهذا « خطأ » فقد كانوا قلائل الى عهد قريب الا انهم الآن يأخذون بالازدياد بفضل البعثات الكثيرة المتوالية الى الجامعات الخارجية ، ولكن جميع هؤلاء يعتبرون غير فنيين او غير اختصاصيين (بحسب التعبير السوري) بفن التدريس لانهم لم يدرسوا شيئا من التربية واصول التدريس الذي يطلعهم على الاساليب التربوية واحسن الطرق التعليمية ، لذلك يلاحظ على تعليم هؤلاء انه يتخذ اسلوب المحاضرة الالقائي . وهم حين يتبعون هذه الطريقة انما يتبعونها عن غير علم بها وما ذلك الا لان استاذهم القديم كان يدرسهم على هذه الكيفية او لانها هي الطريقة العفوية التي لا تحتاج الى تفكير واعمال ذهن

ومما يحز في النفس المآ ان وزارة المعارف السوريه لا تفرق بين من يحمل شهادة في التربية والتعليم الى جانب شهادته الجامعية وبين الذي يحمل شهادة جامعية فقط . فتعين حامل الشهادات الجامعية بالاداب والعلوم مثلا براتب اساسه ١٤٥ ليرة سورية بينما تعطي حامل نفس هذه الشهادة مضافا اليها دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين مثلا نفس المرتب واحيانا تعطيه

ادني من ذلك ايضا كما فعلت معي ومع رفيق لي . فانا وهذا الرفيق نحمل شهادة جامعية في اللغة والادب ونحمل دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين من مصر عينا براتب اساسه ١٣٠ ليرة سورية ولا نعلم لهذا التفريق من سبب منطقي سوي اضطراب القيم في اذهان اولئك المسيطرين على شؤون المعارف .

هذا في سوريا اما في مصر والعراق فان الامر احسن حالا واكثر تنظيما وتقويما لقيم الشهادات والمدرسين وخصوصا من الناحية التربوية (وهي ما يسمونها في مصر بالناحية الفنية)

فالمدرس الذي لم يتخرج من معهد تربية (اي من دار معلمين) ويمارس هذه المهنه يسمونه معلماً غير فني ، وقد اصبح من مدة وجيزة مثل هذا المعلم نادراً دخوله سلك التدريس الا اذا كان مدرساً لمادة علمية او رياضية والمعارف بحاجة ماسة لمثل هذا المدرس لنقص لديها في مدرسي هذه المواد فتتجاوز عن الناحية الفنية .

اما بقية البلاد العربية فلا تزال معارفها مضطربة لم تنظم تنظيمها في مصر والعراق وسوريا على ما في هذا التنظيم من نقص ، اذ لا يزال يهيمن على شؤون التعليم والتربية وادارة الوظائف الفنية في تلك البلاد اناس لا يعرفون من امور التربية شيئاً وحتى انهم لايحملون اية شهادة عالية في ناحية من النواحي العلمية وهذه الظاهرة تتمثل في سوريا بصورة ضيقة وقد اخذت في المدة الاخيرة تضيق اكثر فاكثر .

اما التربية الاجتماعية تربية الشعب فمنحطة الى ابعد حدود الانحطاط ومع ذلك ليس هناك من يفكر بأن يوجه هذه الامة توجيها اجتماعيا سليما لا من قبل الحكومة ولا الجمعيات الاجتماعية التي يقع على كاهلها

تبعة هذا التوجيه ـ ان كان هناك جمعيات اجتماعية ـ

فامر تربية هذه الامة بشعوبها المختلفة متروك للقدر وليفعل القدر ما يشاء . لذلك ترى انقسام الاراء وتشتيت الافكار وتشعب المذاهب بصورة تروع الرجل الحصيف الحريص على امر هذه الامة . فانعدام التوجيه القومي ترك مجالا للدعايات الاجنبية والمذاهب والافكار الهدامة من التغلغل في الامة العربية حتى اصبح كيانها مهدداً بالانهيار ووحدتها مهددة بالتمزيق ان لم تكن ممزقة بالفعل .

والامة العربية الان تقع تحت امراض كثيرة اجتماعية وخلقية ولا سبيل الى القضاء عليها الا بالتربية . فهي تعيش في حياة واقعية مفككة متخلخلة مهلهلة قد عملت فيها ايدي عصور الانحطاط الطويلة التي مرت عليها فجعلتها نهباً للتواكل والتكاسل والعادات السيئة والمعتقدات البالية جعلتها منحلة ضعيفة يتقاسمها الاقوياء الذين عملوا ويعملون دائماً على ادامة تفككها وانحلالها . فاخذوا يبذرون فيها بذور الانحلال بذور التفرقة الطائفية والاقليمية والعنصرية بذور الظلم والاستبداد حتى اصبحت شعوبا في شعب وامماً داخل امة قويها يستبد بضعيفها وغنيها يحرم فقيرها حقه فضعفت فيها روح التضامن وتفشت فيها روح التفرقة والانانية والعمل للمصلحة الذاتية . وصارت شيعاً واحزاباً وفرقاً كثيرة ، كل فرقة تعمل لغاية خاصة ، وكل فئة تسعى في ناحية معينة . وقد اصطدمت فيها هذه الغايات والاغراض فكان التطاحن وكان الخصام . ونتج عن ذلك ان ضاعت القوة التي تحفظ الكيان الاجتماعي ودب التفسخ في الامة العربية واهتزت اركانها منذرة بالانهيار . وما هذه الصيحات المنادية الداعية الى الوحدة والانسجام الصادرة عن الرجال الواعين في هذا العصر الا شعور

صادق بهذ الواقع المتفسخ واحساس قوي بالخطر المحدق الذي يحيط بالامة العربية الان وسيتجمع ويحط رحاله في عقر دارها فيما اذا استمرت في حياتها المتفسخة المتفرقة هذه . وما هذه الاضطرابات الاجتماعية وما هذا التذمر الصاعد من افواه الطبقات الشعبية المخلفة والشعور بالظلم الذى يتبعه عداء ضمني للطبقات الغنية في الامة الا نتيجة لضعف روح التضامن بين افراد الامة بعضهم وبعض من جهة وعدم الانسجام بين جماعاتها المختلفة من جهة اخرى .

وكذلك تسيطر على اكثر افراد الامة العربية نتيجة للتربية السيئة روح الانانية والعمل للمصلحة الذاتية وعدم الاهتمام بالمصلحة العامة ، والنكوص عن القيام بالواجبات الاجتماعية ، وكثيرا ما يكون القيام بالواجب بصوره شكلية لا روح فيها حتى يقال ان الفرد قد قام بواجبه

والامة العربية الان تخضع لعوامل ونواح تربوية مختلفة لاتسير ناحية منها حسب ما يبتغيه المربي الواعي الذي يريد ان تكون امته حية قوية تناطح السماكين سمواً ورفعة .

ان الامة العربية تخضع لعوامل تربوية لا تتمشى مع امانيها وآمالها وطموحها في هذه الحياة . تخضع لنواح تربوية لا تترك للانسجام والاتحاد مجالا كي يتسرب اليها . تخضع لعوامل تربوية تبذر في نفوس افرادها بذور الخلاف الفكري بذور الخلاف العاطفي ، بذور الخلاف في العادات والتقاليد والاخلاق . ونحن نريد من التربية ان توحدنا وتوحد اهدافنا وغاياتنا عن طريق وحدة التعليم ووحدة المناهج ووحدة الطرق والاساليب التربوية ووحدة الثقافة لدى المعلمين والمدرسين .

وهذا لا يعني اننا نريد ان نصب ابناء الامة العربية في قالب واحد من

التفكير ونجعلهم نسخة واحدة من كتاب واحد ، كلا ولكننا نريد ان نجعلهم وحدة كاملة من الوعي العربي المتطلع الى المجد ونسخة واحدة من كتاب الشعور القومي المتوثب يضمهم بين دفتيه مكونا منهم سطوراً من نور للمجد العربي الخالد

نريد من التربية ان تخلق الامة العربية خلقاً جديداً وتلبسها ثوبا قشيباً زاهياً ، نريد ان تخلق في افرادها ضميراً خلقياً قد وهنت خيوطه الآن وتهلهل نسيجه يكون لهم رادعا ولاعمالهم رقيبا ، نريد ان نخلق افراداً يعيشون عيشة اجتماعية حقيقية بحيث يندفعون الى العمل الاجتماعي بنشاط وقوة وسخاء لانهم يدركون انلا قيمةللشخص الا اذا استطاع ان يساعد ابناء امته على رفع مستواهم الاجتماعي ، نريد ان نوجد افراداً قد انطوت نفوسهم على العواطف النبيلة يندفعون الى العمل المثمر المنتج بحيوية من ذاتهم ونشاط من روحهم ، نريد ان ننشيء افراداً اجتماعيين لان الحياة الاجتماعية الصحيحة هي كل ما نطلبه ونسعى اليه من التفوق والكمال ، فاذا كان المجتمع فقيرا فجميع افراده يشاطرونه فقره واذا كان ضعيفامنحطا فجميع افراده كذلك يشاركونه هذه الصفات بالرغم عنهم

ونحن نريد كذلك ان نبعث بالتربية قوميتنا ذات الجناح المهيض ، نريد ان نحقق وطنيتنا المتلاشية في النفوس الهزيلة والقلوب الضعيفة ، على ان تتسربل هذه القومية وتلك الوطنية بانسانية سامية خفاقة اللواء عاليـة السناء ، نريد ان نخلق من ابنائنا رجالا يعرفون كيف يتغلبون على المصاعب والآلام بشجاعة فائقة ، نريد ان نوجد اتساقا عاما وانسجاماً وتكاملا بين نواحي حياة افراد الامة العربية بحيث تتجه حياتهم دائماً الى الكمال الخلقي والروحي والعقلي ، وهذا قطعا يقتضينا جهادا مريرا متواصلا يجب علينـا

نحن ابناء هذا الجيل وابناء الجيل الصاعد ان نتحمله بصبر وجلد في سبيل خلق الامة العربية الجديدة .

هذا وصف موجز لما هي عليه حالة التربية في المدرسة والمجتمع العربيين اما التعليم فلا بد لي من ان اتحدث عنه لان التربية والتعليم متلازمان فلا يمكن ان توجد تربية دون ان تصحب بالتعليم ولكن قد يوجد تعليم في جو غير صالح من الناحية التربوية الصحيحة كما هي الحال في البلاد العربية الآن .

فالتعليم ذو أثر في حياة الامة وحياة الافراد لانه السبيل الوحيد لرقي الجماعات والافراد . وان ما نشاهده من رقي الحضارة وتقدم المدنية ورقي وسائل العمران والصناعات وكثرة الاكتشافات ان هو الا نتيجة العلم والعلم هو السبيل الوحيد للتحرر الداخلي للافراد والخارجي للامم ، يحرر الفرد من سخيف العادات والتقاليد ، يحرره من عبودية مستعبديه او مستغليه ، يحرره من الوهم والخوف والجبن ويدفعه الى ان يطلب حريته كاملة من مغتصبيها . وكذلك الامم اذا كانت متعلمة فلا سبيل الى استعبادها مطلقاً . فلو اطلقنا النظر نبحث عن امة متعلمة مستعبدة لما وجدناها ولكن نجد امماً كثيرة جاهلة راسفة في قيود العبودية واغلال الذل والخنوع . وقد قال توماس جيفرسن الرئيس الثالث للولايات المتحدة « ان الشعب الذي ينتظر ان يكون حراً وهو جاهل ينتظر ما لم يحدث ولن يحدث »

فاذا ارادت الامة العربية ان تتحرر من عبودية مستعبديها ، اذا ارادت ان تحطم الاغلال والقيود فعليها ان تسرع في نشر العلم وتعميمه بين جميع طبقات الامة . عليها ان تعلن حرباً لا هوادة فيها على الجهل

والامية ، فنحن في الشرق العربي يكاد يقتلنا الجهل لانه لا يزال سائداً الاكثرية الساحقة من الشعوب العربية ، ونسبة التعليم نسبة ضعيفة جداً لديها وخصوصاً في بلاد نجد والحجاز واليمن والمقاطعات الواقعة تحت النفوذ البريطاني من شبه الجزيرة والبلدان الواقعة تحت النفوذ الافرنسي وغيره من افريقيا . ورغم ذلك لا يزال كثير من حكام البلاد العربية وذوي الشأن فيها يتخوفون من تعليم الشعب وينظرون بوجل الى انتشار التعليم وانتشار الوعي القومي والاجتماعي بانتشاره . ولا اكون مغالياً اذا قلت ان هناك اناساً يحتلون مركز القيادة في بعض البلدان العربية يعتنقون مبدأ (علم الشعب اليوم يكن ضدك غدا) وكذلك هناك اناس ممن يدعون انهم مفكرون وانهم في مركز القيادة الفكرية من هذه الامة يعتقدون كما يعتقد روسو وهو واياهم على ضلال « أن الرجل الفقير ليس في حاجة الى التعليم » . نعم ليس الفقير في حاجة الى التعليم اذا اردنا ان تبقى الامة متأخرة منحطة فقيرة مستعبدة ذليلة تسير كما تسير السائمة يدفعها الراعي . اما اذا اردناها امة متقدمة متحضرة طماحة الى المجد وثابة الى العلا خلاقة مبدعة تساير الامم في حضارتها وتكون في المقدمة ترجه نفسها بنفسها يجب علينا ان نسرع الى تعميم التعليم والتربية حتى تشمل جميع افراد الامة دون استثناء احد .

فمن الجريمة التي لا تغتفر بحق الامة العربية الا يسعى قادتها الى تعميم التعليم وتوحيده بين جميع افراد الشعب غنيها وفقيرها سواء بسواء . وقد قال اللورد ماكولي وهو كاتب واديب انكليزي في خطبة له في مجلس العموم البريطاني « اني اعتقد ان من حق الحكومة وواجبها ان تعمل على توفير وسائل التعليم للفقراء من الناس ، فمن الواجب على الحكومة ان

تحمي رجالنا واموالنا من الخطر . وان الجهل المطبق المنتشر بين العامة من الناس هو السبب الرئيسي للخطر على الافراد وممتلكاتهم ، يتضح لي كل الوضوح ان من له الحق في ان يشنقهم ، عليه الواجب في ان يعلمهم اذا كان من الواجب ان تعاقب المجرمين فمن الواجب عليك ان تعلمهم فليس معنى الحكم الجلد والشنق فحسب (١)

اذن من الجريمة بحق الفرد والجماعة الا تسعى الدول العربية القائمة الى تعميم التعليم والتربية معاً في داخل المدرسة وخارجها اذ انهما حقان من الحقوق الانسانية يتعلقان بعنق الدولة وهي مطالبة بهما امام الفرد والمجتمع والانسانية .

وكذلك من الجريمة ان تكون هناك انواع متعددة من التعليم بالنسبة لطبقات الامة اى بالنسبة لغنيها وفقيرها ، فالفقير في جميع البلاد العربية لا يستطيع ان يتعلم واذا استطاع لا يجد مجالا في بعض البلدان غير ذلك (الكتاب) الذي اكبر مميزاته انه يخرج انصاف اميين ويقتل مستقبل الولد الذي يدخله .

واذا اوتي الفقير جرأة وشجاعة واندفاعا الى العلم فانه يتعلم تعليما ابتدائيا في بعض البلدان وتعليما الزامياً في بعضها ، ومستوى هذا التعليم الاخير ادنى من مستوى التعليم الابتدائي المخصص للتلاميذ الذين باستطاعتهم دفع مصاريف التعليم وشراء الكتب ، ونظام هذا التعليم لا يسمح لصاحبه مهما اوتي من الذكاء والفطنة ان يتابع طريقه في التعليم لان منهجه يخالف منهج المدارس الابتدائية وهو اضعف مستوى منه . وقانونه لا يسمح للتلميذ في متابعة درسه في المدارس الثانوية فهو يقف سداً منيعاً دون استفادته

١ ـ التربية والحياة ـ الابراشي

من تعليم آخر غيره ويحتم عليه بعد خروجه منه وانغماسه في معترك الحياة ان يرجع الى الامية والجهل القاتل لان ذلك التعليم لا يثقف عقلا ولا ينضج تفكيرا بل لا ينقذ من الامية البغيضة

وقد ادركت بعض البلدان مساوىء هذا التعليم فعملت على الغائه وحولته الى تعليم ابتدائي مجاني . ثم خطت خطوة اخرى لانستطيع الا ان نقول عنها انها خطوة عظيمة فاقرت مجانية التعليم الثانوي والفني . ولكن هذه الخطوة على عظمتها ناقصة اذ ليس التعليم اجباريا في هذا البلد وليس جميع الاباء يرسلون ابناءهم الى التعليم وذلك لان هؤلاء الاباء مع ابنائهم يحتاجون الى ضرورات الحياة الاولى من مأكل وملبس ، فهم في شغل بهذا عن التعليم . فاذا ارادت الحكومة ان تجعل جميع الاباء يرسلون ابناءهم الى المدارس فلتعمل على رفع مستوى الحياة لامثال هؤلاء وعند ذلك نستطيع ان نقول ان التعليم المجاني الابتدائي والثانوي عام شامل ونستطيع ان نقول حقاً انها خطوة جبارة وجريئة تلك التي اتخذتها حكومة هذا البلد .

وهناك في بعض البلدان العربية ظاهرة خاصة في هذه الناحية ، وهي ان التعليم الديني لا يتعلمه الا ابناء الفقراء بل وابناء الفلاحين منهم فحسب فاكثر رجال الدين في هذه البلدان هم من طبقة خاصة اهم ميزاتها الفقر المدقع ، وما ذلك الا لان هذا التعليم مجاني ويمكن لطالبه ان يستحصل على بضعة دريهمات يسد بها حاجته الى الطعام ويا لها من حاجة مؤلمة

لذلك اصبح الناس في هذه البلدان ينظرون الى هذا التعليم والى اربابه وطلابه نظرة فيها كثير من المعاني .. وقد اثرت هذه النظرة الاجتماعية الى هذا التعليم في نفوس طالبيه ورجاله فاصبحوا يشعرون بألم نفساني عميق يحز في قلوبهم ويأكل ارواحهم . وليس بعيداً ان تنحرق نفوسهم

ان لم تكن قد انحرفت بالفعل واصبحت مفعمة ببغض عميق مريع للمجتمع الذي تحيا فيه .

لهذا لم اكن مغالياً عند ما دعوت الى اقتلاع هذا التعليم من جذوره واحلال محله تعليما جديداً ذا منهج وخطة جديدة . بعيد عن التفرقة الاجتماعية هذه .

فالامة العربية الان في امس الحاجة الى تربية صحيحة قويمة وتعليم شامل موحد ينتشلانها من الهوة التي تردت فيها الى قمة المجد والرفعة والسؤدد .

لقد مرت قرون على الامة العربية وهي ترسف في اغلال من التأخر التربوي والتعليمي والضعف المادي والمعنوي فكان ذلك فرصة للامم القوية لان تستغل ضعفها وتأخرها فارسلت مدارسها الى البلاد العربية لتعلم ابناء العرب وتنشئهم تنشئة ترضاها المصالح الاجنبية . وقد قامت هذه المدارس بالواجب المطلوب منها فاخذت ترضع الناشئة العربية بلبانها وتغذوهم بافكارها . فشب في الامة العربية اولئك الرجال الذين درسوا في تلك المدارس وانطبعوا بطابع المدرسة التي تلقوا فيها تعليمهم وتربيتهم او بالاحرى طبعوا بطابع الدولة التي تنتمي اليها المدرسة . فكان ولا يزال لدينا رجال عرب في ظاهرهم اجانب في تفكيرهم وسعيهم لخدمة امة المدرسة التي انشأتهم . وقد كانوا ادوات لتنفيذ اغراض الدول الاستعمارية في البلاد العربية وللاسف الشديد لاتزال هذه المدارس تعمل حتى الان في البلاد العربية بنفس الخطة ونفس الروح والمبدأ الذي كانت تعمل به منذ ان وضعت اقدامها في هذه البلاد المقدسة .

فمن اوجب الواجبات على الامة العربية ان تسرع الى تطهير بلادها

من جراثيم هذه المدارس اذا ارادت ان تحيا امة متحدة يسود افرادها الاتفاق والانسجام والاتحاد والوئام .

وهذه المدارس التي تنفث السموم بين ابناء امتنا ليس لها وجود الا في البلاد الضعيفة المغلوبة على امرها ونحن لا نريد ان نكون منذ الان امة ضعيفة مغلوبة على امرها تلعب بها مثل هذه المدارس وحكوماتها . بل نريد ان نكون امة قوية غلابة متحدة متماسكة ذات تربية واحدة وفكرة واحدة وعقيدة واحدة ، هي القومية العربية المجددة .

لننظر الى الحكومات القوية والحريصة على قوميتها وسيادة الانسجام بين افرادها ، هل نرى لديها مثل هذه المدارس تسرح وتمرح وتنفث سمومها في اقدس شيء عندها . في القلوب الطاهرة من ابنائها وبناتها . . كلا بل نرى تعليما واحدا ذا نظام واحد ومنهج واحد وهدف واحد وتوجيه واحد ليصهر الامة في بوتقة واحدة ويصبها في قالب واحد فتكون كتلة واحدة من الشعور القومي والعاطفة الوطنية التي نحن العرب بامس الحاجة اليها .

ولقد شعرت الحكومات التي تحرص على وحدة شعبها وامتها بخطر مثل هذه المدارس فطردتها من ارضها شر طردة لان خضوع المدرسة الظاهر لبرنامج الدروس التي تسير عليها معارف البلاد لاقيمة له ازاء التوجيه وبث المبادىء والافكار في النفوس الغضة اللدنة ذات القابلية الشديدة للاستهواء .

والذي يدل على الخطر الشديد لهذه المدارس ان الحكومة الافرنسية حرمت عليها العمل في فرنسة بينما اباحت لها العمل في مستعمراتها واخذت تشجعها وتنفق عليها في تلك المستعمرات اموالا

طائلة . وهذا اوضح دليل على سوء نية هذه المدارس وخطرها .

ولقد جنينا من هذه المدارس اسوأ الثمار وافجع الحوادث واعظم المصائب وافدح النكبات ، فقد آتت هذه المدارس اكلها اليانعة وثمرها الشهي اللذيذ بالنسبة للامم الاجنبية ، والاكل الحنظ بالنسبة للامة العربية ولا اريد ان اضرب امثلة فالامثال كثيرة نستطيع ان نستخرجها ونستخلصها مما مر من احداث ومحن على الامة العربية منذ ثلاثين سنة ونيف حتى الان . فجميع ما اصاب الامة العربية من كوارث ونكبات يرجع الى هذه المدارس او بالاحرى الى ابناء هذه الامة المتخرجين من هذه المدارس المتعاونين مع الاجنبي على امتهم ووطنهم

وافجع مصاب اصاب البلاد العربية يتجلى فيه اثر هذه المدارس وما غرسته في نفوس ابنائها هي فاجعة فلسطين . فقواد الامة العربية في هذه المعركة لم يكونوا قد تلقوا تعليمهم في مدرسة الامة العربية ، ولم يكونوا قد تلقوا تعليمهم في مدرسة الصحراء العربية القائمة على معاني الشهامة والانفة والاباء والاتحاد عند الشدائد وانكار الذات في سبيل المجموع . لم يكونوا متصفين بصفات اولئك الاباء الامجاد الذين خرجتهم مدرسة الصحراء فداسوا العالم وهم ضعفاء ووطئوا المعمور وهم اقلاء .

التربية الاجنبية تعمل دائماً على غرس الذل والخنوع في نفس مواطننا تعمل على غرس الانحلال والضعف غرس الجبن والتردد والتخاذل في قلوب ناشئتنا . وقد كانت هذه الصفات تسربل من عالج قضية فلسطين ابان التهاب جذوتها لذلك وصلت الى هذا المصير المؤلم الذي نراه . وسيكون لهذه القضية نتائج اخرى خطيرة جداً بالنسبة للبلاد العربية اذا لم تتداركها الامة تداركا حازما .

ولقد كان لهذه المدارس اثر سيء اخر ـ وما اكثر سيئاتها ـ غير الاثر القومي . ويبدو هذا الاثر في المعايير والمفاهيم الخلقية التي تسير عليها فهي تسير على مفاهيم خلقية تختلف اختلافاً بيناً عن المفاهيم الخلقية للامة العربية . وهذه المفاهيم ـ مفاهيم هذه المدارس ـ تختلف وتتعدد ايضا بتعدد واختلاف جنسيات هذه المدارس الكثيرة .

لذلك اضطرب لدينا حبل المفاهيم الخلقية واصبحنا في بلد لا تجمعه معايير خلقية واحدة كل فئة من شبابه ورجاله المثقفين تنظر للمشاكل والحوادث من ناحية خاصة وتفهمها على شكل خاص وتصدر حكمها على هذه الحوادث طبقاً لمفهومها الخاص ايضا . فانقسمت الامة واضطربت حياتها الاجتماعية واتسعت بذلك الهوة بين افرادها وطبقاتها واصبحت كل طبقة او فئة تصدر اعمالها وتحكم على اعمال غيرها تبعا لمفهومها الخلقي الخاص الذي غرسته في نفوسها مدرستها .

فنحن الان في حاجة الى تربية جامعة تصب الامة العربية باسرها في قالب من المفاهيم الخلقية الموحدة . مفاهيم بعيدة عن الانحلالية الغربية ، مفاهيم نابعة من اخلاقنا القديمة مسايرة لتطورنا ونهوضنا وحضارتنا ، مفاهيم مبدعة خلاقة لا جامدة متحجرة عقيمة

والامة العربية الان ـ بصورة عامة ـ لديها من روح الخير والعمل والاندفاع ما يجعلنا نأمل من امكان بعثها ونهوضها رغم ان اندفاعها نحو الخير والاتحاد والعمل والنهوض اندفاع ضئيل غير منظم اذ ان الاهواء والمطامع لا تزال تملك على الفرد نفسه وتسيطر عليه الشهوات دون ان يفرق بين الرغبة الصالحة والنزوة الطائشة ، فليس لاكثر الافراد مقياس ادبي لتصرفهم او مبدأ خلقي لاعمالهم يضبطها ويوجهها . والحياة التي

لامعايير خلقيه لها او التي تكون مفاهيمها الخلقية مضطربة متقلبة حسب الظروف والاحوال تكون حياة حقيرة ، جافة مجدبة منحطة وهي مؤلمة مريرة الوخذ في حنايا الضلوع حتى ولو كانت حلوة المذاق في الفم .

وابناء هذا الجيل يولدون في مجتمع قد وهنت تقاليده ومعاييره الخلقية والادبية ولا سبيل الى بناء ودعم هذه المعايير وتقويتها وتمتينها وجعلها ساميه رفيعة الا بالتربية ذات المثل العليا .

يجب ان نخلق في نشء الامة العربية عن طريق التربية مثلا عليا يتفانون في سبيل تحقيقها ، مثلا تهدف الى خلق الامة العربية خلقاً جديداً له مكانته السامية بين الامم ، مثلا تبين رسالة الامة العربية في هذا العالم وتوضح مقدار التبعة الملقاة على كاهلها .

وهذه المثل الان تستصرخ ابناء الامة العربية لاعتناقها وقيامهم بواجبهم تجاهها . فللامة العربية رسالة رفيعة بين الامم خليق بكل عربي ان يشعر بها وبجسامة التبعة الملقاة على عاتقه في سبيل اداء هذه الرسالة .

وهذا يقتضينا نحن ابناء هذا الجيل ان نكرس حياتنا فى سبيل بلوغ ذلك وان نصمم على تحقيقه ونحن متسربلون بروح من التقشف والعفة والعنف في حياتنا . يقتضينا ان نتعصب لمبادئنا ومثلنا العليا، يتطلب منا ان نكون عنيفين مع خصومتنا مندفعين في تحقيق امالنا، يتطلب منا ان تكون الارادة هي المحكمه فينا وفي اعمالنا .

فليكن لنا اذن مثالا عالياً واحدا هو خلق امة عربية جديدة لها مكان الصدارة بين الامم عظيمة قوية جبارة وان تكون لنا ارادة واحدة تسير بنا الى تحقيق تلك الغاية النبيلة .

والامة العربية الان لديها من روح التضحية والصبر في سبيل بلوغ

العزة والمجد ما يفوق ما لدى اعظم الامم لانها ذاقت مرارة التحكم والتعسف والظلم اجيالا طويلة . ذاقت مرارة الحرمان والالم من امم اخرى حكمتها ـ وما تزال تذوق ـ افلا تذوق التقشف وعنف الحياة في سبيل كرامتها وعزتها ومجدها .

بلى ان الامة العربية على اتم استعداد لان تضحي وان تغرق في التضحية على شريطة ان تجد ذاك الرجل الذي نشأ على خلال مدرسة الصحراء العربية يقودها الى مذبح التضحية ويقدم لها كل ما تملك نفسه وروحه قرباناً لها وعهداً منه في سبيل الوصول الى ما تبتغيه من عزة وكرامة ومجد وخلود .

ان الامة العربية تبحث الان عن الرجل العظيم الذي سيجمع شتاتها ويضمها تحت لواء واحد ثم يسير بها الى المجد والسؤدد ، تبحث عن نبي جديد في تربة ارضها المخصبة بالرجال . فعساها تجد وسوف تجد .

ان ثورة اجتماعية وقومية حادثة وشيكا في البلاد العربية ، فهي في فوران روحي وثورة عاطفية جياشة قوية ولكنها مكبوته مضغوطة . ولكن ما اسرع ما تتقد النار وتنتشر فتعم البلاد من ادناها الى اقصاها . ومن ثم تكون بضعة رجال في البلاد العربية نارها الموقدة وحطبها الجزل

فعلينا نحن ابناء هذا الجيل ان نضع نظاما يخلق الامة العربية خلقاً جديداً وان يقودها نحو التطور السريع المحكم دون ان يحدث ارتجاجا عنيفاً في حياتنا الاجتماعية وينشيء ابناء هذه الامة على ان يكونوا صالحين للعيش وفق هذا النظام متلائمين معه . ونعني بهذا النظام ان يكون خالقاً وموجداً مدنية عظيمة مطبوعة بطابع الامة العربية وخصائصها ومميزاتها التي وهبتها لها امكانيات ارضها وما يفيض عن روحانياتها من فضائل وسجايا

يجب ان نعمل على تنشئة ابنائنا على نظرة جديدة وطريقة جديدة في الحياة واضعين نصب اعيننا بلوغ مثلنا الاعلى الذي يجعل التضحيات في سبيله هينة سارة والعقبات والصعوبات مقوية للعزائم الصادقة الصارمة ويخلق في الفرد استعداداً لبذل الجهود المتواصلة المتزايدة ، كلما طلب منه بذل اى مجهود واضعاً نصب عينيه رفعة الامة العربية واعلاء شأنها

ومثلنا العليا هذه يجب ان تلتف حولها احلام فتياننا وفتياتنا وتدغدغ امانيهم وتداعب خيالهم بحيث يكون اثرها فيهم اثر السحر وفعلها فعل الخمر تسكرهم وتنشيهم وتضفي على حياتهم الوانا من السمو لايحد .

وليس ظهور الحياة بشكلها الحاضر لدينا جافة متحجرة متأخرة الا لخلوها من المثل العليا . فاكثر شبابنا يسيرون في حياتهم دون هدف سام ومثل اعلى يتطلعون الى تحقيقه ، ومتى تجرد الشباب عن المثل العليا والاهداف السامية انحطت عزائمهم ووهنت قواهم وتأخرت الامة تبعاً لذلك .

ولقد كان اكثر شبابنا يلهو ويعبث ويقتل الوقت على مائدة « الكونكان » في حين كانت قضية فلسطين في اوج اتقادها وشدة ضرامها . ولا اقول كل الشباب اذ لا تخلو الامة من شباب عاملين واعين نذروا انفسهم فداء لامتهم ولكنهم ويا للاسف رجعوا من المعركة والالم يأكل اكبادهم والحسرة تحرق روحهم ، لانهم وجدوا النية غير خالصة والطوية غير سليمة ، وان بضعة رجال يتولون قيادة المعركة ، ليسوا من الامة العربية في شيء بل هم عملاء لمدارسهم التي تخرجوا منها عملاء لمن رباهم ليخدموا مصالحه واغراضه . فرجع هؤلاء الشباب وقد انطووا على اضلاعهم من الالم المرير .

فيجب علينا نحن ابناء هذا الجيل وقد قادنا من قادنا الى هذا المصير

الاليم . ان نهب لتربيتنا وتعليمنا وحياتنا الخاصه والعامة حيوية تنقصها هي حيوية المثل الاعلى بحيث يكون هذا المثل محدوداً واضحا يهدي سلوكنا ويهذب نفوسنا ويسيطر على حياة الافراد فينا ويصهرنا في بوتقة واحدة فيخرجنا امة متحدة متماسكة الاجزاء لا تتنازعنا امام النكبات والمصائب وذلك عن طريق التربية والتعليم . فالتربية والتعليم خادمان يقومان بكل ما يطلب منهما شريطة ان يحسن استخدامهما وان يكونا مقترنين بمثل اعلى ، ومثلنا الاعلى هو الامة العربية فوق الجميع .

الفصل الثالث

الغرض من التربية

لكل امة غرض خاص من تربيتها وتعليمها ترمي الى تحقيقه ، ويكون هذا الغرض مستمداً من حاجاتها الحيوية والضرورية في الحياة ، روحية كانت هذه الحاجات او مادية .

فقديماً كان الغرض من التربية عند الاسبرطيين مثلا هو خلق الجنود الشجعان ذوي الاجسام القوية ليستطيعوا ان يذودوا عن وطنهم عند الشدائد وذلك لان ظروف هذه الولاية كانت تقضي عليها بالاستعداد للحرب دائماً واعداد الفرد لها سواء كان الفرد صالحاً للجندية او غير صالح وكانوا في سبيل ذلك يبيحون قتل الاطفال ضعاف البنية الذين يقرر مجلس الدولة انهم لا يتحملون حياة الجندية القاسية. وكانوا من اجل ذلك ايضا يبيحون الحياة الاشتراكية حتى في الزواج لان الغرض هو اعداد افراد يتبعون الدولة ويخدمونها ويقومون بواجباتهم تجاهها بصرف النظر عن ابائهم وامهاتهم . وكذلك كانت التربية عند الآثينيين تتمثل في خلق الشبان الاقوياء الا انها كانت اكثر عناية بتنمية المعارف والمدارك والشعور بالجمال وهي كذلك مثل سابقتها تعمل على اخضاع الفرد لامور الجماعة . في حين انها عند الرومان كانت ترمي الى تقديس الشرف العسكري

فاذا كانت الامة قد استوفت حاجاتها الضرورية فانها تتطلع الى تحقيق الكمال في ابنائها ، فلا غرابة اذا رأينا الغرض من التربية في بعض الامم الحديثة يرمي الى الوصول بالفرد الى الكمال او ما يقرب منه ، او بعبارة اخرى الى تكوين شخصية الفرد المتكاملة كما نادى بذلك سبنسر الانكليزي وديوى الامريكي .

اما الامة العربية في العصر الحاضر فانها تسير دون هدف بيّن او غرض واضح في تربيتها وتعليمها . فلو انك سألت اي مدرس ، حتى في البلاد التي اخذت في وضع مناهج تربوية والتي اخذت تلقن مدرسيها بعض المباديء التربوية الحديثة عن الغرض الذي يهدف اليه في تربية النشء وتعليمهم لتردد في اجابتك او لا جابك صراحة ان ليس هناك غرض واضح يعمل له .

والامة العربية في الوقت الحاضر لها حاجات ضرورية كثيرة لازمة لحياتها ضرورية لبقائها . فلا بد لها من هدف او غرض تربوي يعين تلك الحاجات وينم عن تلك الاغراض والاهداف ويرسم الخطط والمناهج .

فاذا اردنا ان نبين الغرض الذي يجب ان تسعى الامة العربية الى تحقيقه لا بد لنا من ان نلقي نظرة على حياة الامة العربية ونستقريء واقعها لنتعرف على حاجاتها الضرورية ومطالبها الحيوية . ثم نضع غرضها التربوي على ضوء كل ذلك .

فالامة العربية الان تعيش في حياة واقعية ذات افق ضيق ومجال مضطرب وتفكك شنيع وانقسام بغيض في حياتها الاجتماعية والسياسية . فلا بد لها من ان تهدف في غرضها التربوي الى القضاء على ذلك حتى تستطيع ان تعيش حياة اجتماعية واسعة الارجاء خالية من مساوىء الحاضر

متحررة من التقاليد البالية والعادات السخيفة راقية سامية عن الكثير من النواقص والعاهات التي يتسمم بها مجتمعها الحالي . وحتى تستطيع ان تحيا حياة سياسية موحدة لا اثر للانقسام فيها .

والامة العربية الان تعيش في واقع خلقي واهي الاركان ضعيف البنيان منحط القيم مزعزع المفاهيم رغم انها ذات تاريخ خلقي سام مليء بالمفاخر والامجاد . لذلك يجب ان تبقى وهي تريد ان تبقى نبراساً خلقياً يستضاء به في دياجير هذا الظلام الخلقي القاتم الذى يطغي على العالم باسره في العصر الحاضر .

والامة العربية الان ضعيفة في قوميتها ضعيفة في التعصب لها واكاد اقول ان الغالبية العظمى من افرادها لا يشعرون بقوميتهم شعوراً واضحاً بل استطيع ان اقول . ان هذا الشعور ميت لدى كثير من طبقات الامة اللهم الا بعض الشباب الواعين الذين اخذوا يعملون لرفع القومية العربية والتمسك بها واعلاء شأنها .

وضعف القومية العربية في نفوس ابنائها ناتج عما مر على الامة العربية من ظروف الانحطاط الطويلة القاسية ، والاستعمار الاجنبي الغاشم. وعما بهر عيون ابناء العرب من رقي الغرب وتقدمه وقوته، وعن انتشار المدارس الاجنبية في البلاد العربية وبثها روحا معادية للروح القومية وتدريسها تاريخ امتها ومفاخرها ، واهمالها تاريخ العرب او تدريس القشور منه مع ابراز السيئات والمطاعن بشكل واضح يذري . ثم محاولتها دائما الحط من شأن الامة العربية ومجدها الخالد .

فلا بد اذن للامة العربيه من ان تحي قوميتها وتبعثها خفاقة اللواء عالية السناء وتزيح من طريقها كل ما يعترضها من عثرات واشواك .

ورب قائل يقول : كيف تدعو الى القومية والتعصب لها في حين تسود العالم فكرة الانسانية والدعوة الاممية ، ومبدأ القومية والتعصب لها يجعل سداً فاصلا بين الامم ويبعدها عن التقارب والتفاهم فاقول اننا نحن العرب امة ضعيفة مريضة متفسخة منقسمة على نفسها شيعاً وطوائف ولا يستطيع الضعيف المريض الواهي القوي الذي تكاد اعضاؤه تتخاذل وتتفكك ان ينهض ويقوى الا بدواء قوي فعال يبعث الحياة في جسمه والحيوية في اعضائه فتقوى وتشتد وتنشط على القيام بواجباتها . وهكذا القومية فهي الدواء الناجع للامم الضعيفة .

فكل امة ظروفها مثل ظروف الامة العربية وتريدان توجدلها كيانا وشخصية بين الامم الاخرى وتريد ان تكون قوية عزيزة الجانب لا بد لها من ان تبعث قوميتها من مرقدها وتتمسك بها وتتعصب لها ولمبادئها وذاتها . كما فعلت المانيا وغيرها من الامم .

فنحن نريد ان نجعل التمسك بالقومية والتعصب لها وسيلة للنهوض والانبعاث كي نستطيع بلوغ مجدنا التالد وعزنا الغابر .

وقوميتنا هذه ليست ضيقة محدودة بل هي واسعة بحيث تشمل الحياة باوسع معانيها وتستهدف الامة بجميع احوالها وترمي الى انماء قوى الامة العربية الروحية ورفع مستواها المادي والاجتماعي والعقلي والسير بها الى ابعد مرمى في طريق الحياة المثلى ، فهي اذن وسيلة للنهوض والتقدم كما قلت.

ونهوض امة كالامة العربية وتقدمها في مجال الحضارة يكسب الانسانية تقدماً ورقياً وازدهاراً . فمميزات الامة العربية منضمة الى مميزات الامم الاخرى تكون تلك الباقة الرائعة من زهور خصائص الامم المختلفة النابتة في حديقة هذا الوجود . والتي اذا ما رفعنا تلك الخصائص من بينها

اعتبرت خصائص ومميزات الانسانية ناقصة، ولا كمال لها الا بانضمام خصائص ومميزات سائر الامم بعضها الى بعض .

والامة اذا كانت متأخرة منحطة لا تستطيع ان تفصح عن خصائصها وتكشف عن مميزاتها فتبقى عبقرياتها مغمورة مدفونة وتبقى الانسانية في نقص وتأخر .

وقوميتنا هذه ليست قائمة على الدم والعرق ولكن اكثر ما تقوم على اللغة والعادات والتقاليد الموروثة . تقوم على التاريخ المشترك والآمال والاهداف والعواطف المشتركة ، تقوم على البيئة والارض التي استطاع ان يتمركز فيها العربي ويجعلها وطنا قومياً له قروناً متطاولة ويصبغها بصبغته الخاصة لانها تشبه او قريبة الشبه من موطنه الاول وبيئته الاولى. فالاوطان العربية الان يتصل كل منها بصحاري ممتدة طويلة وهذا الاتصال هو الذي جعل العربي يتمكن من التمركز فيها .

كما ان خلو البلاد الاخرى التي فتحها العربي من الصحراء جعله لا يستطيع ان يتمركز فيها تمركزاً تاماً ويصبغها بصبغته القومية رغم قوة سيطرته وقوة الدين الذي حمله الى تلك البلاد .

فاتصال هذه الاوطان والبيئات بصحارى كانت تذكر العربي دائما بمجاله الواسع وبيئته الاولى ، فاذا ما حن واشتاق قفز اليها وقضى لقلبه لبانة الشوق ثم عاد الى مجال الحياة المضطرب الواسع مجال العيش .

ثم ان الامة العربية منقسمة الى عناصر متباينة كما قلت سابقا كل عنصر منها يتجه وجهة خاصة وينكر تفكيراً خاصاً ويحيا حياة خاصة ، وهي مؤلفة من طوائف دينية وجماعات مذهبية كل جماعة منها تنفر من الاخرى فهل من لوم علينا اذا حاولنا ان نقضي على هذا التشتت وهذه

التفرقة وحاولنا ان نجمع جميع هؤلاء تحت شعور موحد من العاطفة القومية وجعلناهم كتلة صماء تقف في وجه الاحداث والكوارث صفا واحدا وتسلك في الحوادث والملمات سلوكا واحدا ، لاسلوكا متباينا مختلفاً كما كانت الحال في فلسطين .

ثم ان قوميتنا لا تمنعنا عن ان نكون انسانيين واني اعتقد ان لا انسانية لمن لا قومية له ونحن نريد نكون قوميين اولا ثم انسانيين ثانيا لان الذي يشعر بانحطاط امته وتأخرها يشعر بانحطاط الانسانية وتأخرها كذلك ، والذي لا يشعر بعظمة امته ويعمل لها لا يشعر بعظمة الانسانية ويعمل على ادامتها .

فالدعوة الاممية في مجتمع قومي متأخر ليس فيها اشاعة للاخاء الانساني بل تهديم للامة وقوميتها ، ونحن نريد ان نبني امتنا وقوميتنا وان نجعل هذه الامة تحمل مشعلا جديداً للانسانية وتقدم رسالة جديدة للحضارة . ونريد ان نكون انسانيين ايضا ولكن ضمن نطاق قوميتنا . فاذا ارادت هذه الانسانية ان تصرفنا عن قوميتنا او تساومنا عليها تجافينا وابتعدنا عنها ولسنا في ذلك بملومين .

وقد انتشرت الفكرة الانسانية بصورة واسعة بين فلاسفة الالمان في النصف الاخير من القرن الثامن عشر حتى قال احد مفكريهم (شليجل) « من العبث ان نحاول تكوين امة المانية فالاجدر بنا ان نأخذ بالفكرة العالمية ونخدم الانسانية » ولكن ما لبثت ان داستهم جيوش نابليون فادركوا عند ذاك خطأ وخطر فكرتهم وهم تحت سنابك خيله وحوافر جياده . ثم كانت بعد ذلك يقظة قومية جبارة وحماسة وطنية مندلعه قادت المانيا الى الاستقلال والوحدة ثم الى القوة والعظمة .

ولقد انتقد روسو فكرة الانسانية او العالمية انتقادا لاذعا بقوله « ان بعض الناس يحبون ابناء الصين لكي يتخلصوا من الواجبات الفعلية التي تترتب عليهم من جراء حب ابناء وطنهم الاقربين) . كما ان روزفلت الكبير رد على تولستوي الداعي الى الفكرة الانسانية بقوله (يجب ان نعرف جيداً ان الرجل الذي لايفرق بين وطنه وسائر الاوطان في المجتمع الذي يعيش فيه الان . يكون عنصراً مضراً كالرجل الذي لا يفرق بين زوجته وسائر النساء .)

ولماذا نذهب بعيدا ، فنحن العرب عند ما كانت قوميتنا حاكمة قوية طاغية استطعنا ان نقدم للانسانية تراثاً خالداً من الدين والفلسفة والعلم ، اما عند ما انحطت هذه القومية وضعفنا بضعفها فلم نستطع ان نفيدالانسانية والحضارة في شيء ذي قيمة ، فكيف نطمع ونحن ضعفاء في قوميتنا ان نفيد الانسانية ؟ بل لا نستطيع ان نجد امة ضعيفة في قوميتها اعطت نتاجا خالداً او قدمت للانسانية تراثاً باقياً ، لان ضعف القومية يقتل كل خاصة مبدعة في الشعوب ، ونحن نريد ان نكون مبدعين خلاقين عاملين في هذه الحياة . نريد ان نسخر الارض والسماء في تشييد قوميتنا وامتنا .

ثم ان اكثر الداعين الى الانسانية وطرح القومية هم اناس من امم قوية تضع يدها على كثير من الاسلاب وتتحكم في كثير من الشعوب الضعيفة في قوميتها ، فاذا استيقظت القوميات في هذه الشعوب ومنها الامة العربية طرحت عنها نير اولئك الطغاة وقامت تحاسبهم حسابا عسيراً . فاولئك الذين يدعون للانسانية انما يدعون لها لا حباً بها ولكن حباً في الابقاء على ما في ايدي امتهم من اسلاب وخيرات الامم الاخرى الضعيفة وحباً في ادامة ذلها وضعفها

فيجب ان نعمل في سبيل قوميتنا وان نتعصب لها وان نكون اقوياء صارمين جبارين وخصوصا مع اولئك الذين ظلمونا قرونا متطاولة ولا يزالون يعملون على ادامة واستمرار هذا الظلم . ويجب ان نغرس في نفوس ابنائنا اتجاها الى ان سيادة القومية العربية هي الاساس الذي يقوم عليه كيان الامة العربية وحضارتها ثم الحضارة الانسانية برمتها .

والامة العربية لم تأخذ حتى الآن الا بقسط ضئيل من العلوم العملية وهي في نهضتها تحتاج حاجة قصوى الى العلوم والصناعات الحديثة تحتاج الى الانكباب على البحث العلمي المتواصل والتقدم الصناعي والزراعي لاجل ان تعرف كيف تستغل خيرات بلادها بنفسها ولكي تكون بلادها قائمة على التنظيم الدقيق في جميع مرافق حياتها . فالتنظيم والتنسيق والحياة النظامية مفقودة بين طبقات الامة العربية

واكثر ابناء الامة العربية ينشأون في الوقت الحاضر ضعاف الابدان تنخر اجسامهم العلل والامراض يعيشون حياة صحية ضعيفة. يتكاتف عليهم الجهل والفقر فيوقعانهم في اشراك الامراض والاوباء حتى اصبح للامراض مواسم وللاوباء مواطن في بلادهم . فيجب ان نهدف الى انشاء افراد اقوياء في اجسامهم اصحاء في ابدانهم لان سلامة الصحة وقوة الجسم ضرورية للجيل الجديد ليكون قادراً على تحمل المشاق والتبعات قادراً على تحدي العقبات والنهوض بالاعباء الجسام التي ستلقى على كاهله ، ولا يبالي بالآلام في سبيل فكرته السامية

هذه صورة مجملة عن واقع الامة العربية وحاجاتها الضرورية التي يجب ان تحققها عن طريق التربية حتى يكون لها كيان محترم مرموق بين الامم وهذه الصورة يمكن ان نستخلص منها الغرض التربوي الذي يجب ان

تهدف اليه وتسعى الى تحقيقه الامة العربية وهو : يجب ان تكون البلاد العربية وطناً واحداً لجميع ابناء العرب يحيون فيه حياة اجتماعية خلقيه كاملة مثلهم الاعلى التفاني في سبيل الذود عن هذا الوطن وتقديسه وتقديس القومية العربيه والنهوض بها وجعلها فوق القوميات الاخرى ، اقوياء في اجسامهم منظمين في تفكيرهم وحياتهم ماهرين في اعمالهم مبتكرين مبدعين مخلصين لامتهم يؤثرون مصلحتها على مصلحتهم ويعملون لخير الوطن العربي خاصة وخير الانسانية عامة »

هذا هو الغرض والمبدأ الذي يجب ان يسود التربية والتعليم في جميع البلاد العربية والذي يجب ان يكون ماثلا في ذهن كل معلم ومرب اليه يعمل وعلى طريقه يوجه .

الفصل الرابع

العوامل المؤثرة في التربية

ان العوامل المؤثرة في التربية كثيرة لا بد لنا من دراسة اكثرها فعالية لنرى مقدار صلاحيتها في البيئة العربية لتنشئة الفتى العربي الجديد واهم هذه العوامل ١ ـ البيئه ٢ ـ الوراثه .

والبيئة هي جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الفرد من حين ولادته الى حين وفاته ، وهي تلعب دوراً هاماً في التربية لما لها من تأثير عظيم في الكائن الحي .

ويمكننا تقسيم البيئة الى قسمين : ١ ـ بيئة طبيعية ٢ ـ بيئة اجتماعية.

فالبيئة الطبيعية هي قطعة الارض التى يعيش عليها الكائن الحي وما تحتويه من عناصر ، مثل تكوين الارض ونوع تربتها والمناخ وما يتعلق به من رطوبة وجفاف وما يحدث فيه من تقلبات ، ثم الماء والنبات والحيوان الى غير ذلك . فكثير من هذه العناصر يؤثر في الانسان من الوجهة النفسية والمزاجية . وكثيرا ما يشعر الانسان شعوراً واضحا بتأثير بعض العناصر الطبيعية في نفسه تأثيراً ظاهراً . وخصوصا عند ما يحاول ان يلاحظ او يتمتع بمشاهد الطبيعة ومظاهرها فانها تعمل في نفسه وينفعل امامها فتأخذ الايحاءات سبيلها الى وجدانه ثم يتكيف شعوره وسلوكه بحسب ما توحيه اليه هذه الايحاءات.

ولهذه الايحاءات تأثيرات هامة في تكوين الخلق والمزاج وفي مجرى الحياة بصورة عامة . وتشمل البيئة ايضا المنزل وما يتصل بـــه من تنظيم وترتيب اواضطراب، كالحجرات وتنظيمها واثاث المنزل وترتيبه وموقع المنزل والبيئة الطبيعية المحيطة به وتوفر الهواء والضوء وحرارة الشمس .

اما البيئة الاجتماعية فهي الوسط الاجتماعي وما يسود هذا الوسط من مبادئ وافكار سامية او منحطة وما يضطرب فيه من فوضي او يشتمل عليه من تنظيم ، اجتماعي وسياسي واقتصادي وما يصطلح عليه من عادات واخلاق ومعاملات حسنة او سيئة الخ ... وعلى العموم هي كل ما يشتمل عليه المجتمع من مثل عليـا واهـداف سامية تقدمية او افـكار رجعية واهداف منحرفة ويدخل ضمن نطاقها الاندية والمقاهي والملاعب والمنتزهات ودور الخيالة وقاعات المحاضرات وامكنة العمل . كما تشمل المنزل ومن فيه من والدين واخوة واخوات وبقية افراد الاسرة ومن يتصل بهم من اقرباء واصدقاء وخدم وغيرهم

وكذلك تدخل المدرسة ضمن نطاق البيئة الاجتماعية وهي ذات اثرهام في تربية الفرد وتوجيهه وفي توجيه المجتمع بصورة عامة . لان الجو المدرسي اذا كان صالحا منظما استطاع ان يؤثر على المجتمع الخارجي بالاصلاح والتنظيم

فالمدرسة ومن فيها من معلمين يحسنون القيام بواجباتهم والمثل العليا والمبادي التي يعتنقونها وصفاتهم الخلقية ، وما يسود المدرسة من عناية في نواحى النشاط من جمعيات رياضية وعلمية وادبية ، وما في المدرسة من نظام ونظافة وترتيب ، كل ذلك يتشربه الناشيء ويتشبع به ويحاكيه ويكون له اثره العظيم في نفسه .

واما الوراثة فهي جميع العوامل الموجودة في الـكائن الحي من اللحظة

التي تتم فيها عملية تلقيح الخلية الانثية بالخلية الذكرية . والوراثة تأثيرها الظاهر في الفرد من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية . فوراثة الصفات الجسمية من الاباء والاجداد امر ظاهر وكذلك وراثة الصفات العقلية والخلقية والمزاجية ، وان كان بعض العلماء قد اختلفوا في امر هذه الصفات المعنوية . الا ان من الثابت ان هذه الصفات تورث كما تورث الصفات الجسمية ، اذ كثيرا ما نشاهد شخصا سيء الاخلاق شرسا فظا فيكون احد ابويه او احد اقربائه الادنين او الاباعد يتصف بمثل هذه الصفات . وكثيرا ما نشاهد ايضا عائلة ما يتصف افرادها بانهم عصبيو المزاج او تغلب عليهم خفة العقل او خفة الروح او يتصفون بالذكاء الظاهر او ببطء الطبع وبرودة الدم الى غير ذلك من الصفات . وهذا ما دعا احد علماء الوراثة (بيرسون) الى القول ان الناس يرثون عن ابائهم القدرة والخجل والمشاعر والحالات النفسية بالطريقة نفسها التي يرثون بها الشكل واللون وطول القامة وغير ذلك (١)

وكثيرا ما تتداخل عوامل الوراثة بعوامل البيئة فلا يستطيع الباحث المدقق تمييز بعضها عن بعض ، فمثلا ربما كانت صفة خلقية ما راجعة في اساسها الى صفة وراثية مزاجية او ربما كانت قد انتقلت الى الطفل من الكبار المحيطين به ـ اذ ان عن طريق المحاكاة غير المقصودة بانواعها المختلفة من تأثر بالايحاء والتقليد والمشاركة الوجدانية تنتقل الاراء وانواع السلوك والانفعالات من فرد الى فرد ومن الاباء بنوع خاص الى الاطفال. كذلك معاملة الاباء للابناء تختلف من طفل الى اخر اختلافاً كبيراً

---

(١) اسس الصحة النفسية ـ للدكتور عبد العزيز القوصي .

وتبعاً لاختلاف المعاملة تتأثر شخصيات الاطفال الاخوة بينما يكون المعتقد انهم عاشوا جميعا في بيئة واحدة والواقع انهم في بيئات مختلفة من حيث المعاملة . (٢)

وبعد ما هو مدى صلاحية هذه المؤثرات والعوامل في البلاد العربية حتى تصلح لتنشئة الفتى العربي الصالح او كي نطمئن اليها لتخرج لنا الجيل العربي الذي نطمع في ايجادة .

اننا ان القينا نظرة على البيئات الاجتماعية في كل قطر من اقطار العرب فاننا نجدها بيئات متأخرة ضعيفة . موبوءة منحطة . فالتنظيم الاجتماعي سواء كان هذا التنظيم جمعيات خيرية او دينية او اصلاحية او رياضية الخ . . . تنظيم ضعيف سيئ تسوده روح الانانية والسيطرة والظهور لا الروح الحقيقية التي يجب ان تسوده وهي مصلحة الجماعة دائما فكثيرا ما رأينا بعض الاشخاص يحاولون القيام ببعض المشاريع الاجتماعية ويتحمسون لها ولكن سرعان ما تخبو هذه الحماسة ويقبر ذلك المشروع في مهده . وهذا حتما راجع الى سوء التربية وسوء التنظيم .

ثم ان الناحية الخلقية تكاد تكون اضعف فالمفاسد المنتشرة في المجتمع العربي توشك ان تهدده بالانحلال العاجل فقد تسربت المفاسد الغربية اليه واخذت تنخر فيه اذ اخذ يقلدها عن غير وعي او تبصر ، فتبلبلت المفاهيم الخلقية واصبح سلوك الفرد غير مقيد بمفهوم خلقي خاص وانما حسب ما تمليه عليه المصلحة الذاتية والشهوة العابرة .

وقد اصبح هناك بون شاسع بين اخلاق الكتب والاخلاق السائدة

---

(٢) اسس الصحة النفسية

في المجتمع العربي . فالكتب مثلا تقول بان الشرف قوام الفضائل وأس النجاح في الحياة ، ولكن اخلاق المجتمع تظهر بان الشرف مرض وآفة يجب ان يبتعد عنه الانسان .

والاخلاق والقوانين تقول ان الكفاءة شرط جوهري لتولي مناصب الدولة ولكن الكفاءة في حقيقتها جناية تجر على صاحبها الحسد والبغضاء والتحطيم .

والامعات والنكرات اذا لم يستطيعوا ان يظهروا او لم يستطيعوا تسنم سلم الرقي بسرعة قذفت بهم المحسوبية الى الذروة . اما اصحاب الكرامة والاستقلال الفكري - وما اقلهم في مجتمعنا - فانهم اذا هموا بالصعود الى قمة السلم تشبث الحاسدون بارجلهم وتعلق الدساسون باذيالهم وما يزالون بهم حتى يهبطوا مهشمين محطمين على الارض

وهكذا يسعى افراد المجتمع المتأخر الى قتل الرجال الاحرار وتحطيم الافذاذ وطرد العاملين المخلصين حتى يخلو الجو لبضعة انفار جاحدين مستغلين ليصعدوا قمة السلم على اكف العامة وهتافات الجهلة المرتزقة

اضف الى ذلك ما يضطرب به المجتمع العربي وما يسوده من تفكك اجتماعي ناتج عن اضطراب في التوجيه واختلاف التربية والتعليم والثقافة . اذ ان التوجيه والتعليم والتربية في البلاد العربية مختلفة باختلاف الاقطار وباختلاف المدارس المنتشرة في هذه الاقطار من مدارس وطنية اهلية الى مدارس دينية اهلية ايضا الى مدارس حكومية الى اخرى اجنبية علمانية و دينية تبشيرية متعددة الجنسيات بتعدد حكوماتها . وكل مدرسة من هذه المدارس توجه الناشئة توجيها خاصا ، وكل منها تنفث مبادئها وافكارها وتبث روحها الخاصة . وخريجو كل مدرسة من هذه المدارس

يتجهون في تفكيرهم اتجاها خاصا . فهؤلاء يفكرون تفكيرا لاتينيا والاخرون يفكرون تفكيراً سكسونيا وغيرهم يفكرون تفكيرا دينيا . وآخرون ينزعون نزعة قومية . او وطنية محدودة وهكذا . . . لذلك كان التلاؤم والانسجام بين افراد المجتمعات العربية ضعيفا واهيا .

واكثر ما ينطبق على المجتمعات العربية من القول ، انها مجتمعات انعزالية متنافرة لا متجاذبة متضافرة . وان اكثرها يسوده الظلم من وجود البون الشاسع بين طبقاتها المختلفة من الناحية المادية والعلمية . فهنا فئة قليلة تملك مال قارون وهناك فئات كثيرة تعد بالملايين يكادون لايملكون قوت يومهم ، فئة تعيش في القصور . وفئات يعيشون في الاحجار والاكواخ ، فئة تعيش عيشة الاسياد وفئات يعيشون عيشة العبيد ، فئة تستطيع ان تعلم ابناءها بما تملك من ثروة ، وفئات لا يقدرون الا ان يكونوا اميين جاهلين كهذه البهائم السائمة لانهم لا يملكون الا الفقر . فئة تشعر انها ولدت سيده سائدة وفئات يشعرون بانهم ولدوا عبيدا ، فهل يمكن ان يكون بين هذه الفئات تلاؤم و انسجام او تفاهم ، هل يمكن ان يكون بين هؤلاء ، تعاون الا كما يكون بين السيد وعبده وبين العالم والجاهل من تعاون .

هذا زيادة عن ان اكثر المجتمعات العربية ـ ان لم تكن جميعها ـ تتحكم فيها الروح القبلية والانظمة العشائرية والعائلات الاقطاعية ، تتحكم فيها فئة قديمة بافكارها قديمة بتصرفها ومثلها ومبادئها ، قديمة بعقليتها وروحها قد التفت بالانانية وتسربلت بحب الذات تمسك الزمام بالنواجذ وتعمل على قتل روح التقدم في شباب الجيل الحاضر المتوثب .

وليس هناك قول اكثر دلالة على ما اقول من حديث الاستاذ

عبد الحميد كرامة الزعيم الطرابلسي المعروف في جلسة خاصة بين اصدقائه والمقربين اليه « لقد انتهت مهمة جيلنا في العمل العام لان كفاءته نضبت وعجز تفكيره عن مجاراة التطور الحديث وحان الوقت لكي يضطلع الجيل الجديد باعباء المسؤلية ، وكل ما ارجوه هو ان يتجنب الشباب تلك الجرثومة التي نخرت عظام ساسة جيلي وسممت حياتهم وحياة الشعب معهم واعني بها (الانانية) » (١)

والمجتمع العربي الان تغزوه افكار بعيدة عن روحه ومبادئه قاتلة لتوثبه وطموحه قاضية على استقلاله وحريته وقوميته ، وعلى اعتباره مجتمعا عربيا له كيانه الخاص واستقلاله وحريته ومميزاته وخصائصه التى تختلف كل الاختلاف عن خصائص المجتمعات الاخرى وخصوصا تلك التي تحاول ان تجعل مبادئها تتسرب اليه حتى تستطيع ان تفرض سيطرتها عليه عن طريق هذه المباديء .

والسبب الهام المباشر الذي يجعل الشباب يتقبلون تلك المباديء الهدامه لقوميتهم ووطنيتهم هو ضعف التربية الوطنية والقومية وخلو هذه التربية من مثل عليا يعتنقها الشباب . ووجود تلك الفئة ذات الغنى الفاحش والثراء والترف العظيم الى جانب الفقر المدقع الذي يعم الاكثرية الساحقة من الامة العربية ، ثم وجود تلك الفئة الرجعية المتحكمة الضاغطة على الشباب المسكروهة منهم الناشرة روح التضييق عليهم لذلك يتطلعون ويحاولون ان يتنسموا شيئا من الحرية على زعمهم ولو كان ذلك بالسير على جثث ابناء امتهم ، او ليس في ذلك خلاص من واقعهم البغيض . ؟

وفي المنزل تتمثل الحياة الاجتماعية باجلى مظاهرها اذ اصبح افراد

---

(١) جريدة النصر السنة السابعة ـ العدد ١٦٩١

الاسرة فيه في تفكك مريع فهو ان كان منزلا لابنائه حظ من الثقافة والمعرفة فانه ينقسم بحسب ما يعتنق هؤلاء الابناء من المباديء والافكار كما ان هؤلاء الابناء يدعون التقدمية والتحرر وينظرون الى ابائهم نظرتهم الى فئة تمثل الرجعية والتأخر ، ويعملون جاهدين على التخلص منها ومن عاداتها وافكارها وتقاليدها

وان كان بيتا يخيم عليه الجهل ـ وما اكثر البيوت الجاهلة في الامة العربية ـ ففيه تظهر فوضى الحياة وقسوتها واضطرابها بجميع مظاهرها وتتمثل التربية بسيئاتها ويظهر الجهل بابشع صورة فالاباء والامهات جاهلون بابسط مبادىء التربية جاهلون بابسط قواعد الصحة . تتفشى فيهم الامراض والاوبأ بكثرة مريعة حتى اصبح لها في بعض البلدان مواسم كالملاريا والكوليرا ... بل هناك امراض مستوطنة كمرض البلهارسيا والانكلستوما والسل وامراض العيون . وكذلك وفيات الاطفال تبلغ في اكثر البلاد العربية حدا مخيفا حتى ان بعضها قد فاق في ذلك الهند .

وللامراض تأثير سيء في مجموع الامة ، فالخمول والكسل وضعف العقل وانعدام التفكير المجدي وفقدان روح الابتكار والتجديد والطموح والسعي لرفع مستوى المعيشة يرجع ذلك كله الى تلك الامراض التي تقتل الحيوية وتشل النشاط وتنخر الاجسام . وكل ذلك يتمثل في ملايين الأفراد في الامة العربية حتى اصبح الجهل والفقر والمرض عنوان اكثر الاسر العربية وكفى بهذه الادواء عدوا قاتلا .

وتنتشر في البلاد العربية امراض اخرى غير الامراض الجسمية ولكنها اشد فتكا منها لانها تتصل بالجسم وبالنفس في وقت واحد ، وهي

امراض المخدرات كالحشيش والافيون والكوكايين في مصر وغيرها والقات في اليمن وغير ذلك من المكيفات في الاقطار الاخرى فالذين يدمنون على هذه المخدرات يصبحون ضعاف الاجسام صفر الوجوه ضعيفي النفوس مستكينين الى الكسل والخمول ، ولا شك ان ابناء هؤلاء يأتون متصفين بنفس الصفات التي يتصف بها آباؤهم ، هذا اذا لم تصبهم امراض اخرى ناتجة عن سوء التغذية وسوء السكنى .

وما انتشار المخدرات الا من اسباب البؤس المنتشر . فهؤلاء المدمنون البائسون يتعاطون المخدرات رغبة منهم في الهروب من واقعهم المؤلم والفرار من مواجهة البؤس والشقاء الى دنيا فيها شيء من الخيال والسلوى والنسيان يزيح عن صدرهم ثقل هذه الهموم وذلك البؤس والتعاسة والشقاء .

وليس منع هذه المخدرات والتضييق على مدمنيها بالدواء الناجع ولكن الدواء الصحيح هو رفع المستوى المادي والثقافي للطبقات الفقيرة ، لاننا نلاحظ ان هذه المخدرات ليست منتشرة بصورة واسعة الا بين هذه الطبقات .

اما العناية بتربية الطفل في الاسرة العربية فهي لاتوجد مطلقا لان ليس لدى هذه الاسرة اية فكرة عنها ، فالوالد لا يزال يؤدب ابنه بالضرب الشديد المبرح كما يؤدب امه بنفس الطريقة وعلى مرأى من الولد . وكثيرا ما ينقلب البيت الى جحيم في نظر الطفل وخصوصا حينما يكثر شجار الوالدين ، ويكون ضحية هذا الشجار الابناء البرءاء فيخرجون الى الحياة ونفوسهم طافحة بالالم والشقاء ناقمة على الوالدين والناس اجمع . وفي مثل هذه البيوت تتأصل جذور الشرور وتنبت الآثام وتنمو الجرائم .

ونلاحظ ان عقاب الاولاد بالضرب المؤلم يخلف اثراً سيئاً في نفس الولد وكرها لابيه الضارب يضطر الى كبته لانه لا يستطيع اظهاره او الانتقام من ابيه وذلك لضعفه وحاجته الى رعايته ، ولكن هذا الكره يعمل في لاشعور الطفل حتى يأتي الوقت المناسب حيث يظهر اثره واضحا وذلك عندما يشتد ساعد الولد ويقوى . وبهذا وبعوامل اخرى نستطيع ان نفسر عقوق كثير من الابناء وكرههم لاباءهم وشكوى الاباء من عقوق وجفاء ابنائهم وما السبب في هذا الا الاباء انفسهم .

ويتمثل ايضا جهل الاباء باصول التربية بما يزرعونه في نفوس ابنائهم من الخوف الذى ينبت بذور الجبن والتردد والضعف في نفوسها . فكثيرا ما يستعمل الاباء التخويف ليكفوا الطفل عن عمل معين او ليدفعوه الى القيام بعمل معين وكثيرا ما يحدث ان الطفل يريد ان يلعب واهله يريدونه ان يتحدثوا ويتسامروا في جو هادئ فيخيفون الطفل بشيء ما حتى يهدأ عن لعبه ثم يأمرونه بالنوم . ومن غير المستبعد ان يحلم الطفل عند ذاك بهذا الشيء الذي اخيف به فتتكون لديه عقدة خوف او صفة خوف قد تدوم لديه طول عمره

كما ان الجو المخيف الذي يحيطون به الطفل من جراء القصص التي يقصونها عليه بما فيها من جن وعفاريت تؤثر على شخصيته تأثيرا سيئاً حتى نراه لا يستطيع الخروج ليلا خارج الغرفة التي فيها اهله ، واذا اضطر الى الخروج طلب ان يصحبه غيره

ومما يساعد على اثارة الخوف عند الاطفال تشاجر الكبار كالاب والام والاخوة والاقارب في حضوره . او كثرة صخب الاب وغضبه ولهذه المظاهر اكبر الاثر في زعزعة ثقة الطفل بوالديه . واكثر

الاضطرابات العصبية التي تحدث في الكبر للشخص تنشأ من تزعزع ثقة الولد في العلاقات الوالدية .

ثم ان للفراق الذي يحدث بين الاب والام اثرا عظيما في حياة الابناء اذ تكون به الطامة الكبرى على الاطفال وحياتهم الوالدية ، وقد يضطرون الى الالتجاء اما الى كنف الام او الى كنف الاب واحيانا يهملهم الاب نكاية في الام واحيانا كثيرة يذوقون مر العذاب والالم من الاب وخصوصا عن طريق زوجته الجديدة بعد فراق امهم او موتها . واحيانا كثيرة تهملهم الام اذا كانو في كنفها لانها تريد ان تتزوج . وقد يقوم صراع داخلي في نفسها بينها وبينهم لانها تعتقد انهم حجر عثرة في سبيل زواجها وتحقيق رغباتها فتسعى للتخلص منهم ، وقد تتركهم لاقاربهم الذين لايهتمون بهم ولا يلتفتون الى رعايتهم وعند ذاك تصبح الشوارع ومن فيها من ابناء السوء الذين يتلقفونهم ليستغلوهم ابشع استغلال محط رحالهم ، فيسقطون سقوطاً لااصلاح لهم منه بعد ذلك فيكونون جرثومة فتاكة في المجتمع .

وهناك عوامل اخرى غير هذه تفسد عمل التربية في الاسرة وهي ان سوء الحالة الاقتصادية لدى الطبقات الفقيرة يؤدي الى نتائج جد وخيمة تجعل عمل التربية مستحيلا . مثل قلة الغذاء وما ينشأ عنه من ضعف البنية واضطراب الحالة النفسية ، واكثر الامة العربية الان تعاني نقصا فاحشا او سوءاً في التغذية بل اكثرها تنقصها ضرورات الحياة . ومن نتائج سوء الحالة الاقتصادية ايضا اضطرار الاباء الى استخدام الاولاد الصغار في كثير من الاعمال سواء في البيت او خارجه مما يمنعهم عن الانصراف الى الواجبات المدرسية ، والقيام بها كما ينبغي ان كانوا تلاميذ ، ويمنعهم من

التمتع بحياتهم الطفلية من لهو ولعب ثم احيانا كثيرة لا يجدون الوسائل والجو الذي يتيح لهم الانكباب على الدراسة والاستذكار

وهناك آباء كثيرون عاجزون عن العناية بابنائهم والتكفل بهم والقيام بواجباتهم فيعملون على بيعهم او تأجيرهم الى آماد بعيدة بغية التخلص من نفقاتهم وطمعا في ربح بشع ولكن الضرورات كما يقولون تبيح المحظورات

ثم ان عدد الاولاد في الاسرة وعلاقة الابوين احدهما بالاخر وصلة كل منهما بالاولاد وتوزيع الحب والعطف بينهم كل ذلك له اثره في نفس الطفل ، فكلنا نعلم كره الابن البكر الذي يليه وما ذاك الا لان الطفل الثاني ينزع من الاول حنان والديه وحبهما ويشغلهما عنه فتنشأ في نفس كراهية وبغض لاخيه الاصغر . ثم ان الاخ الاصغر يخرج احيانا جبانا ذليلا مما لقا لكثرة ما يناله من الضرب والتعذيب من اخيه الا كبر فيضطر الصغير الى ممالأة والديه حتى ينتصرا له او انه يمالئ اخاه الا كبر ويسعى لتحقيق رغباته حتى يسلم من اذاه . وقد اظهر التحليل النفسي ان هذه العلاقات العائلية المتنوعة مركبة جدا وعميقة الاثر في نفس الاطفال

يتضح لنا من كل ما تقدم ان لعصر الطفولة اهمية عظمى في تكوين رجال المستقبل ونسائه وان للاسرة الاثر العظيم في هذا التكوين ، فليست شخصية الفرد الا نتيجة لتكوينه فى مرحلة الطفولة ، وانه بمقدار مايوجه الى الطفل من عناية ورعاية وتوجيه صالح في هذه المرحلة يكون توافق شخصيته فى مرحلة الرجولة ، وبمقدار ما يحيا حياة معذبة مضطربة منغصة يكون شذوذه وهو كبير ،

اما المدرسة فانني لا استطيع الا ان اجردها من كل معنى تربوي فهي مفتقرة الى اساليب جديدة في التربية والتعليم مفتقرة الى عقليات

جديدة ، وقد توجد احيانا هذه العقليات ، وقد يهم بعضهم بتطبيق شيء من هذه الاساليب الا انه يلاقي من الصعوبات والمشاق الشيء الكثير ويرجع اخيراً بخفي حنين لانه لا يجد التشجيع او التعاون من بقية زملائه الذين يحاولون تثبيط عزيمته بشتى الطرق والانتقاص من عمله بمختلف الاساليب

وهناك سبب هام في تأخر مدرستنا في التربية وهو ان تربيتنا نحن المدرسين منذ الصغر خاطئة ايضاً يتحكم فيها كثير من العوامل التربوية السيئة التي غرست فينا من الصغر فاصبحت تصدر عنا وكأنها طبع وصفة ثابتة فينا

فلاجل ان تكون عملية التربية ناجحة سليمة لا بد من انشاء جيل من المربين لم تتحكم في تربيتهم وطبائعهم عوامل سيئة سليمين في شخصيتهم من عوامل النقص ، قريبين من الكمال في النواحي الخلقية والعقلية والمزاجية .

والغريب في طريقة اختيار المدرسين في الوقت الحاضر ان الطالب الذي يود ان يكون معلماً يعرض على الكشف الطبي ويختبر من الناحية العلمية والهيئة العامة ولكنه لا يختبر من الناحية الخلقية والمزاجية . وهاتان الناحيتان اكثر ضرورة لعملية التربية والتعليم من غيرهما .

والتعليم في المدرسة الغربية بعيد عن حياة المتعلم وميوله ودوافعه مما اضعف مركز المدرسة في نفوس التلاميذ فجعلها وكأنها سوق عامة يأتيها الشخص فيأخذ حاجته منها ثم يولي الادبار دون ان تترك في نفسه اثراً يذكر وانما تركت في يده تلك السلعة التي ابتاعها وهي الشهادة بدوامه المتكرر او المنقطع على المدرسة ، واظنني اخطأت المثل لان المبتاع يذهب

الى السوق لشراء سلعة له بدافع داخلي وهو الحاجة او الضرورة ، اما التلميذ فانه لا يشعر بدافع داخلي الى طالب العلم لان مواد العلم لا تعطى بطرق جذابة تحرك شوقه ونشاطه للعمل وتثير حبه للاستطلاع ، ولاتساير ميوله ورغباته واستعداداته العقلية ، فتراه في اكثر الاوقات عازفا عن الدرس كارها للمدرسة واذا عمل يعمل وهو ملول ، بل لا يعمل الا اذا دفع للعمل دفعا ، وما ذلك الا لان هذا العلم لا يشبع ميوله ولا يتصل بتجاربه ومشكلات حياته ولا يمكنه من الاتصال بالحياة الخارجية ولا يعده لها ولا يعنى بتربية شخصيته ، فيشعر ان المدرسة ليست الا مكانا لسكبت تلك الميول وقتل هذه الشخصية . وان قانون المدرسة هو وسيلة للضغط والقهر والحرمان فيثور على المدرسة وعلى المجتمع الذي تمثله في نظره . وتتولد في نفسه الانانية والفردية المقوتة التي لا تعرف قانونا لها لا مصلحتها الذاتية .

ومن هنا نبتت الروح السلبية بين الطلاب وترعرعت حتى اصبحت اشد ما تكون خطراً وتأثيراً . ولقد تمثلت هذه الروح بصورة قوية بالاضطرابات الكثيرة العنيفة التي يلجأ اليها التلاميذ بين حين وآخر حتى كادت المدرسة تفقد مكانتها واحترامها في نفوسهم ، او فقدتها بالفعل . وحتى انهم اصبحوا يضربون لا لسبب ذي اهمية بل مجرد ورود فكرة الاضراب على اذهانهم . وهذا له خطره الخلقي والثقافي والاجتماعي

ويظهر اثر هذا الخطر بصورة مباشرة في كل عام بالنتائج السيئة التي تعطيها امتحانات الشهادات . ولقد كانت اكثر ظهوراً في هذا العام من الاعوام السابقة حيث كانت نتيجة الشهادتين الكفاءة والثانوية سيئة جدا في سوريا . وكثيرا ما حصل مثل هذا ويحصل في مصر والعراق .

وقد قام بعض الكتاب في سوريا يلومون القائمين على امور التعليم وينقدون اربابه ويدعون الى الاصلاح والى قلب المناهج التدريسية . وكلها دعوات لا تقوم على اساس متين من الدراسة والتمحيص ولكنها دعوات املتها العاطفة والظروف الوقتية

فالاصلاح لا يكون اصلاحاً حقيقياً ما لم يأخذ صفة الشمول والتعميم وهو اصلاح النفوس قبل كل شيء اخر ، اصلاح هذه النفوس التي انحطت وتدهورت واصبحت لا تقيم وزنا لقيمة ولا تحترم قانونا ولا تستمع الى نصيحة ولا تصغي الى توجيه ، اصلاح نفوس هؤلاء التلاميذ الذين اصبحوا يشعرون ان المعلم ما هو الا عدو لهم وانه يقف دون اغراضهم ومآربهم ، وينظرون اليه في كثير من الاحيان كأداة يستحسن السخرية منها والاستهزاء بها والمدرس يشعر في كثير من الاحيان انه امام تيار يريد ان يطغى عليه ، وانه امام اناس يتربصون به الاخطاء والهفوات والغفلة حتى يجعلوها مجالا لسخريتهم وميدانا لعبثهم فهل يمكن لمثل هؤلاء ان يستفيدوا الافادة الكافية من شخص يشعرون حياله هذا الشعور وينظرون اليه تلك النظرة .

فالاصلاح يجب ان يبدأ من نفوس هؤلاء ونفوس ابائهم وينتهي بنفوس المعلمين والمشرفين ثم المناهج الدرسية .

نرى من كل ما تقدم ان المجتمع العربي الحاضر والاسرة والمدرسة العربية جميعها غير صالحة لان ينشأ فيها الفتى العربي في المستقبل . لان هذا المجتمع فاسد ولان الاسرة ليس لديها شيء من المؤهلات التي تجعلها صالحة لتربيته ولان المدرسة اخفقت في الناحية التربوية وتكاد تخفق في الناحية التعليمية وان الامة العربية الآن في امس الحاجة الى خطة تربوية

تعليمية تنقذها مما هي فيه من اضطراب وفوضى وانقسام وتأخذ بيدها الى قمة المجد والسؤدد .

اذن . ما هي الخطة المثلى لتنشئة الفتى العربي رجل المستقبل الزاهر الممجد . ؟

ان السبيل الوحيد للتربية المثلى البعيدة عن تأثيرات البيئات الفاسدة البعيدة عن تأثيرات الاسرة الجاهلة والمدرسة السيئة ذات الطريقة الخاطئة هو البحث عن بيئة جديدة سليمة من ادران المفاسد الاجتماعية الموجودة حاليا في البيئات العربية المختلفة والسيطرة على هذه البيئة التى يعمل فيها الاطفال ويشعرون ويفكرون بحيث تسود جوها المثل العليا التي نرتضيها لانفسنا في الاخلاق والعادات والعلم والمعرفة ، اي ان تكون هذه البيئات بعيدة عن نزعات الماضي والحاضر من العادات المستكرهة والافكار السخيفة التي لاتتلاءم مع المستقبل الذى نرجوه لانفسنا والحضارة التي نسعى لتحقيقها وحمل لوائها . ونستطيع ان ننقل الى تلك البيئة الحسن من العادات والافكار والاخلاق وان نقويها ونغذيها حتى تصبح طابعا للطفل تفيض عن نفسه دون تكلف ، هي وسائر ما نتمتبسه ونرتضيه له من عادات واخلاق جديدة

فنحن نريد تربية ذات معايير واساليب ترمي الى ايجاد عادات واخلاق ارقى من عاداتنا واخلاقنا اما بتهذيب الحسن منها او بخلق عادات واخلاق جديدة لحياتنا المستقبلة التي نريد ان نحياها بين امم بلغت من الحضارة والرقي شوطاً عظيما ١

نريد تربية ترمي الى توحيد الامة العربية وصبها في قالب واحد لتخرج متوحدة في العادات والاخلاق والافكار والعواطف والشعور تسير الى

الامام كتلة واحدة لا اجزاء متفرقة .

ونحن حين نحاول حسب الجيل الصاعد في ذلك القالب انما نفعل ذلك في سبيل خير الامة العربية التي اضعفها الانقسام وقضى عليها التشتت والتفرقة ونخر عظامها السيء من العادات والتقاليد وغزا افكارها وعقولها الضال المضل من المعتقدات والمذاهب فاصبحت امما في امة وشيعا في جماعة

نحن نسعى الى وحدة هذه الامة المجزأة والى قتل العصبيات القبلية والنعرات القومية والتفسخات الطائفية والانقسامات العائلية . نحن نسعى الى الوحدة في العادات والتقاليد والمذاهب والاخلاق حتى تصبح هذه الامة دولة واحدة بل اسرة واحدة متحدة متحابة لا مجموعة مختلفة من الشعوب متعددة بالقوميات متشعبة الاراء والمذاهب .

والسبيل الى ذلك هو ان تتولى الدولة العربية القائمة على اساس قومي تربية الاطفال قبل ان يستطيعوا فهم اللغة ، وحين يكونون عاجزين عن تقدير اي ضرب من ضروب التثقيف . فتنقل هؤلاء الاطفال الى البيئة السليمة بعيدين عن ابائهم ، حيث تعنى بتربيتهم حسب الخطة القومية وذلك لان الاعوام الاولى من مرحلة الطفولة كما قلت سابقا شديدة الحساسية شديدة التأثير في حياة الفرد وعلى اساسها يمكن ان ينشأ الطفل نشأة حسنة او سيئة .

وفي هذه البيئة الجديدة يتمازج النشء العربي على اختلاف عناصره فيخلق لهم هذا التمازج جوا سامياً من الود والصفاء والتفاهم ويخلق لهم وسطا اجتماعيا وحياة اجتماعية مستقبلة اوسع من حياتهم الاولى ويحقق لهم نجاحا اوفر من النجاح الذي كانوا يطمحون اليه فيما لو تركوا يعيشون في مثل بيئاتهم المحدودة الحاضرة وينشأون نشأتهم الحاضرة . اذ ان بيئاتنا

الحالية ضيقة وتحمل في ثناياها مؤثرات شتى منبعثة من البيئات الاجتماعية المتعددة الموجودة في البيئة العربية الكبرى يتأثر بها الطفل ويخضع لها ، فللاسرة قانونها الذي ترعاه وللشارع شرعته النافذة وللطائفة الدينية قوانينها وتقاليدها وللعنصريات والقوميات المختلفة افكارها وعاداتها ، هذا التعدد والاختلاف في العناصر والمؤثرات يجعل نفس الفرد تتجاذبها عوامل وقوى متعارضة بحيث يصبح سلوكه وحكمه على الاشياء صادراً عن عواطف ومعايير مختلفة باختلاف العناصر او الطوائف وباختلاف المناسبات والاغراض وفي هذا ما فيه من خطر على وحدة الجماعة . وهذا الخطر يحتم علينا ان نسعى عن طريق التربية الى توحيد نفسية الفرد واقامة التوازن فيها ، ومن ثم تتحتم وحدة الجماعة التي نسعى اليها . وحدة هذه الامة التي نريدها ان تكون متحدة اتحاد اجزاء الآلة في العمل والانتاج لا نجد فيها جزءاً واحداً من اجزائها معطلا او خاملا او صادئا او مكسورا او موضوعا في غير موضعه ، بحيث يساهم فيها كل ترس وكل عجلة وكل جزء مهما صغر بقسطه الكامل من العمل وينهض بعمله المخصص له في ادارة الآلة كلها ادارة سريعة منسقة محكمة منتظمة .

نريد ان تسري بين طبقات الامة روح الوطنية والقومية الصحيحة روح الجماعة التي هي العمود الفقري في جسم الامة . فحين تكون هذه الروح القومية قوية طاهرة تنفخ القوة في صدور ابناء الوطن وتكون الحياة القومية سليمة شديدة البأس ولكن حين تكون تلك الروح ضعيفة ملوثة ينتاب الحياة القومية الوهن والخور، بل قد تورد الامة موارد الهلاك

ان هذه الروح جليلة الخطر في جميع العصور وهي بالغة الاهمية بنوع خاص في عصرنا هذا وحيوية كحيوية هذا الهواء والغذاء بالنسبة للامة

العربية ، لان هناك اخطاراً جساماً وعدواً لدوداً يتربص بالامة العربية ويتحين منها غفلة او ضعفاً ، ولا يمكن درء تلك الاخطار وذلك العدو الا بالتماسك والاتحاد والقوة . كما اننا لانستطيع ان نعمر بلادنا وان نقويها ما لم تنتشر بيننا روح القومية وروح الجماعة التي تربطنا بعضنا الى بعض وتمكننا من العمل يداً واحدة ، حتى نستطيع ان نسير الى غايتنا كأمة عظيمة خالدة في هذه الحياة .

فلا بد اذن من ايجاد بيئة سليمة من ادران البيئة الحاضرة بعيدة عنها منسقة منظمة . تتعهد قابليات الناشئين وميولهم تعهداً خاصا بحيث تكون اكثر اتساعا واتزانا واتساقا ورقيا وعلما من البيئة الحاضرة وحيث تتجلى وظائفها بالمظاهر الاتية :

١ ـ تبسيط وتنظيم عناصر الميول التي يراد تهذيبها وانماؤها في الافراد

٢ ـ تطهير العادات الاجتماعية مما يشوبها من ادران ، وخلق عادات وتقاليد جديدة والسمو بهذه العادات والتقاليد الى مراقي المثل العليا

٣ ـ خلق مثل اعلى في الناشئين يكون مركز الدائرة في التربية بحيث يشعل عواطف الناشئين ويلهب افئدتهم ويوقد لظى الحماسة في نفوسهم ، اليه يعملون ولاجله يحيون وفي سبيل تحقيقة يموتون الا وهو سمو الامة العربية ورفعة مكانتها والسير بها قدما الى ارقى الدرجات .

٤ ـ ايجاد جو خلقي فاضل متماسك يتصف بالحرية مع مراعاة صالح جميع الافراد كما يتصف بالمساواة والعدالة الاجتماعيتين والانتاج والتقدم والترقي ، يستطيع الفرد ان يتفاعل فيه مع غيره تفاعلا يترتب عليه فهمه لنفسه وفهمه لغيره وحبه له وتقديره اياه .

فبهذه الطريقة وهذه الخطة وحدها يمكن جمع تلك القوى المشتتة

والمنقسمة الى هيئات مختلفة في قوة واحدة وهيئة واحدة ونطاق سياسي واحد . وبهذه الطريقة يمكن السير الى الوحدة الكاملة بين جميع افراد الامة العربية بحيث يكون كل فرد جزءا قويا عاملا في المجتمع الذي يعيش فيه يساهم في اعبائه ويضع مصلحة المجتمع فوق مصلحته الخاصة ، ويضحي برغباته ووقته وراحته وماله وروحه في سبيله اذا لزم الامر ، وبهـــذه الطريقة وحدها لا غيرها يمكن انهاض الامة العربية الى اسمى الذرى واعلى الدرجات .

الفصل الخامس

البيئة الجديدة

اذا كانت البيئة او الوسط الطبيعي والاجتماعي غير صالحين لتربية النشء العربي الجديد الذي نريده خاليا من العيوب والعاهات الخلقية والعقلية والخلقية ، سليما من النواقص الاجتماعية والقومية متحفزاً ناهضاً ، كان حتما علينا ان نبحث عن وسط اجتماعي اخر بعيد عن مؤثرات الوسط الفاسد ، كما كان حتما علينا ان نتنوع الوسط الطبيعي لان للبيئة الطبيعية ايضا اثرها الفعال كما مر سابقا ولا بد ان تكون هذه البيئة الطبيعية الجديدة بعيدة عن البيئة الاجتماعية الفاسدة ، اي لا بد من ايجاد بيئة طبيعية صالحة وانشاء جو وسط تربوي جديد فيها ، وان تكون هذه البيئة الطبيعية مختلفة بعض الاختلاف عن البيئة الطبيعية الحاضرة حتى يكتسب الطفل خصائص البيئة الجديدة بالاضافة الى خصائص البيئة الطبيعية الحالية . فاين نستطيع ان نجد هذه البيئة ؟

اذا ارسلنا البصر يجول في انحاء البلاد العربية مفتشا باحثا في كل قطر من اقطارها نجد ان هناك بيئة طبيعية مشتركة بين جميع الاقطار العربية ومتماثلة بكل قطر من اقطارها قوية التأثير عظيمة الفعالية ولكنها مهملة من قبل الامة العربية .

في هذه البيئة نبت اجدادنا ومنها اندفعوا الى العالم فاتحين تقودهم

خصائص بيئتهم وتدفعهم دوافعها وتتحكم في نفوسهم مؤثراتها . وهم متخلقون باخلاقها وما اخلاقها الا ما اثر عن العربي من شهامة ونبل وعفة وصبر وتناصر وتآزر في الملمات وتواد وتراحم واغاثة الملهوف واعانة المحتاج وحدب على الضعيف وشجاعة وجود وصبر في الملمات والشدائد الى غير ذلك من الخصال الحميدة التي كان يتصف العربي قديما والتي يحتاج اليها العالم العربي الآن بل يحتاج اليها العالم باسره .

هذه البيئة التي اريدها هي الصحراء ، والصحراء وان كانت رمالا تمتد كامتداد البصر ضعيفة التربة قليلة عناصر الانبات صعبة الحياة الا انها شديدة الدفع كثيرة عناصر التحفز خصيبة تربة الاقدام والتوثب صلبة في انبات الرجال . تصهر النفوس فتصبها في بوتقة الكفاح والجلاد وتطهر القلوب فتجعلها تقدر نفسها وتقدر خالقها وتعرف قيمة الحياة ومعناها ، تعرف قيمة الحياة الحرة فلا تخضع ولا تذل ولا تمالىء ، شديدة البأس قوية على تحمل المشاق والصعاب والشدائد . هي قبيل الغروب الهام يقع في النفس ووحي ينصب في القلب وفي الليل تسبيحات لمبدع هذا الكون واجلال لجلاله واعظام له ولوجوده ، وفي الصباح قطرات ندى على جبين الفجر .

والصحراء تكسب ساكنيها مميزات روحية ونفسية وخلقية وجسمية لا يعرفها الا كل من ارتادها او عاش فيها . ومن منة الله على العرب ان جعل جميع الاقطار التي يسكنونها تتصل بالصحراء اتصالا مباشراً فلو نظرنا الى جميع البلاد العربية لوجدنا ان كل قطر من اقطارها يتصل بصحراء شاسعة ، وكأن الله اراد بهذا ان يذكر العرب دائما بهذه الصحراء وانها هي موطنهم ومبعثهم الاول واليها يرجع الفضل في اندفاعهم ذلك الاندفاع الذي ادهش التاريخ . وكأن الله اراد من العرب في شتى

اقطارهم الا يقطعوا صلتهم بصحرائهم وان يعرفوا لها حقها وفضلها فهي المنبع الذي يجب ان يستمدوا منه الروح والقوة والحيوية اذا ما خبت الروح وضعفت الحيوية وخارت القوى . ارادها ان تكون مبعث الكفاح والنضال كلما احتاج العرب الى كفاح او نضال ، فربط كل قطر استوطنه العرب واصبحوا اهلا اصليين فيه بصحراء ممتدة طويلة ، بل ان العرب لم يستطيعوا ان يثبتوا اقدامهم تثبيتاً ابديا في بلاد لا ترتبط بصحراء او لا تتصل اتصالا مباشرا بصحراء ولم يستطيعوا ان يصبغوا البلاد التي فتحوها بصبغتهم القومية الا البلاد التي تتصل اتصالا اساسياً بصحراء ، فجميع البلاد العربية الان من بحر الظلمات الى البحر العربي تتصل وترتبط بصحرائهي عدتها وحماها ، فكم كانت ملاذاً لابنائها عند ما ينعدم الملاذ ، عند ما يطاردهم ظلم المستعمر وجوره وبطشه . وكم اجتمع فيها ابطال العرب يستمدون منها الروح ويتنسمون منها القوة ويقبسون منها شعلة الجهاد والحق والحرية في سبيل النضال والكفاح ضد الظالمين الغاشمين .

فبيئة هكذا شأنها وقيمتها واثرها يجب الا تهمل من قبل الامة العربية ، يجب ان تضاف خصائصها الى خصائص البيئات الاخرى اذ ان كل قطر عربي يتكون من صحراء تمتد امتداد البصر او يزيد ، قليلة الانبات ضعيفة الخصب قليلة الخيرات قاسية صلبة شديدة ، ومن ارض خصبة بسهولها الواسعة وجبالها الشامخة ووديانها الممرعة وجوها اللطيف المعتدل ، ولكل هاتين البيئتين خصائص طبيعية لها تأثيرها في جسم الانسان ومزاجه وخلقه وتكوينه النفسي كما بينت سابقاً ، فاذا نحن اقتصرنا في تربية اطفالنا على ان نجعلهم يتأثرون بخصائص البيئة الثانية بما فيها من ليونة ورقة حرمناهم من خصائص ومميزات البيئة الاولى وهي

خصائص الصحراء بما فيها من صلابة وقوة وشجاعة وجرأة واقدام وتناصر وتآزر وصراحة وصحة جسم وسلامة بدن . ونحن العرب الآن احوج في حياتنا الحاضرة الى صفات البيئة الصحراوية اكثر منا الى صفات البيئة الريفية السهلية . لذلك نكون اقرب الى الكمال واسرع الى تسنم ذرى المجد فيما اذا اخذنا مميزات وخصائص كلتا البيئتين ونشأ رجال الجيل الجديد متحلين بصفاتهما .

وهذه الصفات التي عددتها ونسبتها الى الصحراء لا اقول انها لا يمكن ان توجد الا في الصحراء او لا يمكن للناشيء ان يتحلى بها الا اذا نشأ في الصحراء . كلا ! ولكن الصحراء عامل مساعد قوي على تنمية هذه الصفات وتقويتها في النشء

كما ان هذه الفكرة ليست نكوصاً الى الوراء او تراجعاً الى الصحراء ليست نكوصاً عن الحضارة الى البداوة . بل هي عين الحضارة والتقدم لان اساسها عزل فئة صحيحة سليمة عن فئة معلولة مريضة يخشى ان يمتد داؤها الى تلك الفئة السليمة . وهذا المبدأ مسلم به من الناحية الاكلينيكية (الطبية الظاهرة) فكيف به من الناحية الخلقية والروحية .

ونحن عند ما ندعو الى الصحراء لتكوين بيئة تربوية لا نرمي بذلك الى ما رمى اليه روسو من ترك الاطفال للبيئه الطبيعية تنشئهم وتربيهم . كلا بل نريد ان نحيط تربيتهم باطار من الظروف الاجتماعية . التي تخلق من الطفل فردا اجتماعيا يعيش في مجتمع راق لا فرداً همجياً او بدويا يتيه في مجاهل الصحراء وغياهب القفار ليعود القهقري بالحضارة قروناً طويلة . بل لاجل ان يشب على خصائص الصحراء ويقبس العادات والتقاليد والاخلاق التي ارتضيناها له ويتحلى بالروح العربية الوثابة ، ثم يعود بعد

الثانية عشرة من عمره و كأنه ملاك هبط عالم الارض.

يعود ليستمر تحت رعاية المربين والمشرفين في بيئة جديدة تختلف عن تلك في ليونتها وعذوبتها ولطف جوها هي بيئة الريف او القرى . ثم بعد ان يبلغ الثامنة عشرة ينتقل الى الجامعة التي تتمركز قريبا من المدن

وعند ما يبلغ الثانية والعشرين وما بعدها يكون قد اصبح رجلا يحق للامة العربية ان تفخر بمثله وان تفتخر بنفسها لانها اصبحت تضم افرادا بلغوا من الكمال حدا عظيما .

الفصل السادس

١ – الفكرة

٢ – مراحل الخطة التربوية التعليمية

الفكرة : نحن العرب الآن نعيش في مجتمع مليء بالمتناقضات مليء بالمفاسد والشهوات الذاتية التي تتحكم في تصرف وسلوك كل فرد من افراده ، واقل ما ينطبق عليه من الاوصاف انه مجتمع منحط موبوء متفسخ . والرجل المتغلغل في اوساطنا الاجتماعية يستطيع ان يحكم على مقدار ما في مجتمعنا من تدهور وسقوط ومقدار ما فيه من فساد وتدن للقيم والمفاهيم الخلقية والاجتماعية ومقدار شمول الفوضى جميع نواحيه .

فلا سبيل الى اصلاح هذا المجتمع وانشاء جيل سليم من مفاسده واوصابه ، بل لا سبيل الى انشاء جيل صالح للحياة ، حياة امة راقية تعتز بنفسها وبمكانتها الا بابعاد الابناء عن آبائهم ، ابعاد النقاوة عن العفونة ابعاد الاصحاء عن المرضى بمرض سريع العدوى .

الفساد متأصل في الاباء ومنه ينتقل الى الابناء ، الفساد متأصل في الجذور والارومة ومنها ينتقل الى الفروع والعروق والاغصان والاوراق وقد قال النبي العربي الكريم « كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » فالطفل يحمل فضائل الحياة بشكلها البكر ونحن نقتل فيه هذه الفضائل لنزرع فيه نواقصنا وعيوبنا ومفاسدنا .

ولقد سئل الفيلسوف الالماني (فيخته) مرة . كيف السبيل الى انقاذ البلاد مما تعانيه من فساد ، فاجاب « السبيل الوحيد هو ان يعزل الاطفال عن آبائهم او ان نقذف بابائهم الى البحر »

فنحن قد اخترنا الطريقة الاولى لاننا لانريد اولا نستطيع ان نقذف بانفسنا الى البحر فالحياة عزيزة علينا ، بل نريد ان نوجد لابنائنا بيئة يربون فيها بعيدين عنا حتى ينشأوا على فطرتهم السليمة وعلى عادات وتقاليد جديدة حسنة سامية واخلاق صالحة عالية غير عاداتنا وتقاليدنا المهترئة البالية وغير اخلاقنا الفاسدة ، وليس ثمة من فكرة احكم ولا خطة اجدى لنا نحن العرب في هذا العصر من هذه الفكرة .

وتتمثل هذه الفكرة بان تأخذ الدولة العربية القومية القائمة في كل قطر من اقطار العرب او الدولة المسيطرة على اكثر اقطارهم او جميعها ، الاطفال من حين ولادتهم فتربيهم وتعلمهم تحت اشرافها بعيدين عن آبائهم واهليهم في البيئة التي وصفتها سابقاً ، تكون قد اعدتها الدولة خصيصا لذلك وزودتها بجميع الوسائل والادوات التي تحتاجها الحياة هناك وبوسائل وادوات التعليم واللعب المخصصة للتعليم والتربية . ويستحسن ان تكون هذه البيئة غير ممعنة في اعماق البادية بل تقع على سيف الصحراء حتى يكون الاتصال بها سهلا وسريعا ، ويشرف على هذه البيئة معلمون مربون صالحون ومعلمات مربيات وحاضنات تكون الدولة قد اعدتهم بكل عناية ودقة بالطريقة التي سنبينها .

وتمتد مدة تعليم الناشىء وتربيته من حين الولادة حتى يبلغ الثانية والعشرين من عمره . وتشمل جميع ابناء الامة وبناتها على السواء .

ويمكن تقسيم هذه المدة الى ثلاث مراحل كبرى . وهي .

١ ـ المرحلة الاولى الابتدائية ويكون مركزها الصحراء وتمتد من حين الولادة حتى الثانية عشرة من العمر وتقسم الى ثلاث مراحل ايضا ولكل مرحلة ميزة خاصة .

فالمرحلة الاولى من المرحلة الابتدائية هي مرحلة الرضاعة وتمتد من ولادة الطفل حتى الرابعة من العمر يكون همنا فيها العناية الصحية التامة بالاطفال وتلقينهم اللغة العربية الفصحى حتى نقضي على اللغة العامية ونقضي على ما يعترض التعليم من صعوبات من جراء وجود لغتين عامية وفصحى ، اذ يكون المربون يجيدون التكلم باللغة الفصحى ويحرم عليهم التكلم بغيرها ويكون همنا ايضا تلقينهم الصالح من العادات والعناية بحواسهم عن طريق اللعب واحاطتهم بجو من العناية والرعاية والحب والعطف حتى لا يفقدوا هذا العنصر الهام من تربيتهم بفقدان والديهم .

ثم المرحلة الثانية من المرحلة الابتدائية وتمتد من الرابعة حتى الثامنة وفيها يستمر غرضنا بتعويد الاطفال العادات الحسنة . وتخليقهم بالاخلاق التي نرتضيها لجيلنا الحديث عن طريق الايحاء والقدوة .

ويكون للعب دور هام في تربيتهم ، فنضع بين ايديهم ادواته لان اللعب حاجة حيوية للطفولة . ويمكننا استغلال اللعب في هذا السن استغلالا عظيما في تقديم المعلومات الى الاطفال عن طريقه ، هينة يسيرة في السنتين الاوليين ثم تزداد اتساعا كلما ازداد الطفل تقدما في السن ، اذ ان الطفل يستطيع ان يتلقى جميع دروس الحياة الضرورية له في بدء حياته عن طريق اللعب بالادوات والاشياء التي يجدها في متناول يده والتي يمكن ان تحيط به في الطبيعة . فالطفل في اثناء اللعب ينشط من تلقاء نفسه وهذا النشاط التلقائي كاف في ذاته لتعليمه .

ويجب علينا ان نقدم له هذه الادوات وان ننوعها وان نمهد له بيئة اللعب ونخلق له جوه . كل ذلك يكون تحت اشراف مربيات يعرفن ميول الاطفال وطباعهم ودوافعهم فيستغللنها في تربيتهم وتعويدهم العادات الحسنة والاخلاق الاجتماعية السامية مع احاطتهم بجو من العطف والحنان العظيم

وبما اننا نود ان نعيش في مجتمع اشتراكي او قريب من الاشتراكية لا بد ان نوجه عناية خاصة لناحية الملكية عند الاطفال في هذا السن ونجعلهم يفرقون بين ملك انفسهم وملك غيرهم ويعرفون قيمة كل منهما فحب التملك اذا سيطر على الفرد ـ وكثيرا ما يسيطر ـ جعله عبداً له ونتج عن ذلك شرور كثيرة اذ الخوف من فقدان ما في اليد من ممتلكات هو مصدر ما تنوء تحته الانسانية من ظلم وهو المصدر الرئيسي للقسوة السياسية والاقتصادية . فمن الواجب اذن ان نخفف قدر ما نستطيع من غريزة حب التملك عند الاطفال ونوجه اهتمامهم الى ان يجدوا سعادتهم في اوجه اخرى من النشاط الانشائي البنائي العملي لمصلحة امتهم ومجتمعهم لا ان يبحثوا عن سعادتهم بين احضان المال وجمع الثروة .

نعم ان غريزة الملكية قوية عند الاطفال وهي تظهر بمجرد استطاعتهم القبض على الاشياء التي يرونها . وما يمسكونه يشعرون انه اصبح ملكا لهم واذا اخذ منهم ثارت ثائرتهم . وان الطفل الذي لا يملك لعبة خاصة به يلتقط من الارض عصياً او قطعاً من الزجاج الملون او اي شيء تافه يعثر عليه فيحفظه ويكنزه لنفسه هو وحده ، فالرغبة في الملك متأصلة في النفوس تأصلا قد يكون من الخطر مقاومته . ولكن يجب علينا الحد من شدته والتخفيف من وطأته بحيث لا يستعبد صاحبه ولا يقف حائلا دون العدل الاجتماعي .

ويمكن ان تكون هذه التربية عن طريق اللعب وذلك بان نخصص لكل طفل لعبة خاصة به ولعباً مشتركة بينه وبين غيره من الاطفال ونفهمهم اية لعبة لهم جميعا واية لعبة تختص بكل واحد منهم وهكذا ..

اما المرحلة الثالثة من المرحلة الابتدائية فيكون لاعطاء المعلومات اثر كبير فيها ويكون ذلك عن طريق الخبرة الذاتية والنشاط التلقائي واثارة الشوق والرغبة والميل عند الطفل ، وليس الاكثار من اعطاء المعلومات وتقويتها معناه انه قد يطغى على غيره من النواحي والاغراض كلا ، بل يكون اثر المعلومات في هذه المرحلة اكثر وضوحا واتساعا من المرحلتين السابقتين

وهذه المعلومات التي يقبسها الطفل يجب ان تكون منسجمة ومتلائمة ومسايرة لحاجات الحياة الحاضرة للامة العربية ، فواقع الحياة الحالية يحتم على الامة العربية ان تستن منهجاً خاصا يشمل مواد خاصة تفي بحاجات الحياة الحاضرة والمستقبلة للامة العربية ، وما حاجتها الا العلم الصحيح والبحث والكشف ، فالعلوم والاكتشافات ومجاراة الامم فيها ، ضرورية للعرب ضرورة الحياة لهم ، لانه سيكون بينهم وبين اعدائهم الجدد منافسة شديدة في هذا الميدان ، واعداؤهم قد سبقوهم بمراحل شاسعة فاذا لم يسرع العرب ليتداركوا بعض التدارك ما فاتهم فستكون حياتهم مهددة بالفناء او العيش تحت الحكم الابدي الاجنبي الذي سينتصر عليهم لا بقوته وعديده بل بعدته وبعلمه وفنه وتنظيمه ومكتشفاته .

اذن يجب ان يكون السائد في منهجنا الروح العلمي والبحث العلمي وان نقوي روح الابتكار في ابنائنا حتى يستطيعوا ان يجاروا ارقى الامم في ذلك ، يجب ان تطغى على المنهج المواد العلمية والنواحي الصناعية التي

ترتكز عليها الحضارة الحديثة حتى يصبح تلميذ العاشرة والثانية عشرة عارفا بالعلوم الطبيعية والكيميائية وغيرها اكثر مما يعرفه تلميذ الشهادة الثانوية العلمي في المنهج الحالي ، فهذه المواد العلمية ضرورية ، اما الادب والفن فهما من الكماليات ويجب علينا ان نقدم الضروريات على الكماليات في حياتنا الحاضرة والمستقبلة لاننا في عصر كفاح ونضال ودفاع عن النفس فاذا لم نسرع الى استنجاد القوى الكامنة في الامة العربية والامكانيات المستترة او المعطلة عن العمل لديها والذكاء الخامد فيها او المحول الى وجهات اخرى ، واذا لم نسرع الى استخراج واستغلال ثروتنا والخيرات الكامنة في ارضنا بانفسنا ونوجهها جميعا في سبيل القضاء على عدونا القابع المتربص على حدودنا بل في قلب بلادنا قضي علينا في عقر دارنا وكنا لقمة سائغة لاعدائنا ابد الدهر .

اما الجغرافية والتاريخ فيجب استغلالهما استغلالا قوميا الى ابعد الحدود . ويجب ان يلاحظ في الجغرافية دراسة البيئة المحيطة بالطفل ثم التدرج الى البيئة العامة وكل ذلك عن طريق دعمه بالمشاهدة ، وللرحلات هنا اثرها العظيم فيجب الاكثار منها وخصوصا الى المدن ومعالمها التاريخية

وكذلك التاريخ يستحسن في تدريسه الابتداء بالعصر الحاضر ثم التدرج الى العصور القديمة وذلك لان العصر الحاضر اقرب الى حياة الطفل وهو اكثر اتصالا به من العصور الماضية

ويجب ابراز التاريخ بصورة قوية اخاذة تثير عواطف الطفل وتشعل حماسته وتضرم نار الانتقام والاخذ بالثأر من اعداء الامة العربية الذين مضت عليهم سنون كثيرة وهم يمتصون دماءها ويسومونها الذل والخسف والاستعباد ، والذين استغلوا ضعفها وتفرقها فسددوا خنجرهم الى صدرها

ثم راحوا يتلذذون برؤية الدم المتدفق من قلبها .

وكذلك يجب ان توضع كتب المطالعة بحيث تبرز هذه الناحية وتبرز ابطال الامة العربية القدماء منهم والمحدثين وخصوصا الذين ناضلوا وكافحوا الاستعمار وظلمه .

واما اللغة العربية وقواعدها فيمكننا الاستغناء عن تدريس القواعد استغناء تاما في هذه المرحلة ، لان الحاجة اليها اصبحت ضعيفة طالما اصبح الطفل يتلقى اللغة سليمة من خطأ اللحن من افواه مربيه . واللغة تؤخذ بالسماع ولا تؤخذ عن طريق تعلم القواعد ـ والدليل على ذلك ان التلميذ الان يتعلم القواعد من السنة الاولى الابتدائية حتى نهاية الدراسة الثانوية ثم يخرج وهو لا يستطيع تقويم لسانه عن اللحن او يتكلم جملا متتابعة صحيحة التركيب

ويجب ان يقتصر في تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة على الانشاء الشفوي والتحريري والمطالعة والاملاء واستظهار بعض القطع الجيدة من العصر الحديث بحيث تكون ملائمة لميول الاطفال في هذه السن .

والطفل في هذه المرحلة من العمر يكون جم النشاط كثير الحركة جيد الصحة ، فيجب ان يستغل هذا النشاط وهذه الحركة والحيوية استغلالا لفائدة جسمه وعقله وخلقه عن طريق اللعب والتمرين الرياضي حتى يكون قوي الجسم صحيح البدن ، وعن طريق تكوين الفرق المدرسية الرياضية والعلمية والاجتماعية حتى يتدرب ويتعود على التعاون الاجتماعي

وكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث لها خيم خاصة بها ، وتكون الحياة مختلطة فيها بين الاناث والذكور ولكن يجب ان تكون عين المشرفين ساهرة يقظة وخصوصا في مراقبة ابناء السنة العاشرة وما بعدها

وفي نهاية هذه المرحلة يمكن ان يسمح للناشئين بزيارة اهلهم وان يقضوا بينهم شهرا في كل سنة

المرحلة الثانية ـ الثانوية ـ وتمتد من الثانية عشرة حتى الثامنة عشرة ويكون مركزها في الريف بين القرى لكي تتنوع بيئة التلاميذ ويستمر اتصالهم بالطبيعة

وتقسم هذه المرحلة الى مرحلتين ايضا ، الاولى منهما مدتها ثلاث سنوات وتكون عنايتنا فيها منصرفة الى الكشف عن ميول الناشئين ومواهبهم وتغذيتها استعداداً لابرازهـا ودفعها للعمل في المرحلة التالية .

ثم المرحلة الثانية ومدتها ثلاث سنوات ايضا يقسم التلاميذ فيها بحسب ميولهم واستعداداتهم ومواهبهم بحيث يوزعون على ثلاثة انواع من المدارس كما سنبين ذلك

وعندما يصل الناشيء لهذا الطور من العمر ولهذه المرحلة من التعليم تصبح غرائزه الفردية سامية مهذبة بتأثير ما اكتسبه من عادات حسنة قويمة واخلاق فاضلة ويصبح الميدان مهيئاً للنزعات الاجتماعية

والناشيء في هذا الطور ذو ميل للاطلاع العلمي المنظم وهو شره في طلب المعرفة لذلك يطفر الى العالم الخارجي بل الى الكون باسره ويشتد ميله الى معرفة طبيعة الاشياء وخواصها لمجرد المعرفة والاستطلاع ، وتقوى نزعاته الاجتماعية فيبحث عن الاصدقاء ، وتقوى فيه الوجدانات والعواطف وكثيراً ما تضطرب نفسه بمختلف الميول والرغائب دون ان يجد لها سبيلا ويبدو ميله للتعاون مع رفاقه ظاهراً واضحا في العمل الجدي واللعب على السواء . وهو ايضا في هذه المرحلة مثالي يريد ان يصلح العالم الفاسد المختل بقيمه وموازينه في زعمه . وهو يعشق البطولة والابطال ويغرم بقراءة

سير العظماء ويفتخر بهم

وتظهر ايضا في هذا الطور من العمر الغريزة الجنسية بقوتها وسلطتها ومشاكلها . لذلك كله كانت تربية الناشيء في هذا الطور دقيقة جداً تحتاج الى عناية تامة ورعاية عظيمة ممن يقومون على تربيته ، وكثيراً ما يظهر الشذوذ في هذا الطور ولكني اعتقد طالما ان تربيته في السنين الاولى كانت سليمة خالية من التأثيرات السيئة فسينشأ ونفسه خالية من العيوب والشذوذ

ولاجل مراعاة نزعات الناشيء وميوله واحواله النفسية السابقة يجب ان تتجه مظاهر التربية والتعليم في هذه المرحلة الى النواحي التالية :

١ ـ متابعة الغرض الرئيسي من هذه التربية وهو جعل الناشئين وحدة منسجمة اساسها الشعور القومي والوعي الاجتماعي

٢ ـ اكتشاف الميول والاستعدادات والمواهب الخاصة بالناشئين وقدرتهم على الدرس والعمل فيما يصلحون له وافساح المجال لهذه الميول والمواهب وفتح الميادين امامها حتى تؤدي بهم الى التقدم المضطرد

٣ ـ التوجيه نحو النواحي العلمية الصناعية بصورة عامة وجعل طريقة التدريس مؤدية الى الاستقلال الفكرى والبحث العلمي والتوجيه الذاتي في العمل

٤ ـ فتح ابواب الاضطلاع الشخصي امام الطلاب لينموا ميولهم ويغذوا ملكاتهم ويستفيدوا من اوقات فراغهم .

٥ ـ استغلال عواطفهم ووجداناتهم في توجيههم توجيها قوميا ووطنيا

٦ ـ تقوية اجسامهم بالرياضة البدنية والرعاية الصحية التامة .

٧ ـ تكوين الفرق العلمية والرياضية والاجتماعية لتوثق بينهم روح التعاون والتفاهم والترابط

ولاجل ان ننمي في الناشئين الاستقلال الفكري ونجعلهم يستطيعون تنمية ميولهم وتغذية ملكاتهم ونمكنهم من الاستفادة من اوقات فراغهم يجب ان نفتح امامهم باب الاطلاع الشخصي الذى يجب ان نعتمد عليه اعتمادا قويا في اكتساب المعارف والمعلومات في هذه المرحلة . لان للناشيء في هذا الطور من سنه ومعرفته ونضجه ما يمكنه من ان يضطلع باعباء الدراسة بمفرده او بتعاونه مع رفاقه وخصوصا فى دراسة الادب واللغات والتاريخ والجغرافيه والمعلومات المدنية الخ . .

فاذا صادفته صعوبة ما او اعترضته عقبة ولم يستطع تذليلها بمفرده او بتعاونه مع جماعته او مع من هم اكبر منه سنا وعلما ، التجأ الى الاستاذ المشرف وعرض عليه مشكلته فيحلها له . ويكون التلميذ بهذه الطريقة اكثر سروراً بالعمل واشد رغبة فيه واقبالا عليه كما يكون اكثر قدرة على تفهم اية صعوبة تعترضه اثناء عمله واكثر انتباها وتحصيلا للعلم واكثر قدرة وصبرا على حل المشاكل التي تعترضه من التلميذ الذي يتلقى العلم وهو جالس على مقعده يصغي الى المعلم اصغاء ربما لايعي منه شيئاً او يكون ذهنه في واد والمعلم في واد اخر ، وذلك لان هذه الطريقة من التعليم لاتبعث في نفس التلميذ لذة وشوقا واهتماما .

اما بقية المواد كالطبيعة والكيمياء والاعمال اليدوية والصناعية وغيرها فتؤخذ فى المخابر تحت اشراف المعلم وتدريبه بصورة عملية .

وفي مثل هذه الدراسة يجب ان تكثر الكتب والمراجع المتنوعة بين ايدي الطلاب حتى يستطيعوا ان يبحثوا وينقبوا ويدرسوا بانفسهم وعلى انفسهم . كما يجب ان تكثر الرحلات في هذه المرحلة ايضا داخل القطر الذي يعيش فيه الطلاب وخارجه حتى يستطيعوا ان يتعرفوا على المجتمع

العربي بأسره .

وفي هذه المرحلة يمكن ان يسمح للناشئين بالذهاب في اوقات معينة محدودة لرؤية والديهم لتقوية الصلات بينهم ، ويمكن كذلك اعطاؤهم اجازة شهر في كل سنة يقضونها بين اهليهم وذويهم ويكون هذا الشهر اجازة للمدرسين ايضا .

والجو الخلقي الذي يسود هذه المرحلة والمرحلة الابتدائية السابقة هو جو فاضل بعاداته واخلاقه واعماله وسلوك اساتذته والناشئين فيه ، وليس للرذيلة فيه اي ذكر او وجود لانها سوف لاتبرز على المسرح امام اعين الاطفال والفتيان فلا يعرفون ولا يقع امامهم الا كل ما هو فاضل ، فكل شيء يؤخذ بالقدوة والايحاء والتقليد واعمال المربين والمشرفين كلها اعمال فاضلة صالحة منسجمة مع العادات الخلقية والسلوك الكريم .

وفي هذه المرحلة بقسميها ، ينفصل الذكور عن الاناث ويختلف منهج الدراسة عند الاناث عن منهج الذكور فيراعي في منهج الاناث الميول والاختصاصات النسوية الا اذا وجدت ذوات ميول قوية في ناحية من النواحي العلمية او الادبية او كان منهن عبقريات فهؤلاء يؤخذ بيدهن الى حيث يبدو ذكاؤهن وعبقريتهن

والمرأة في هذا النظام هي ند للرجل ومساوية له في الحقوق والواجبات الا ان من ناحية الاختصاص والعمل فاختصاصها البيت وعملها العمل المنزلي في حدوده ودائرته ولكن هذه الحدود اكثر اتساعا واكثر اشعاراً بالمسؤولية والتمعة منها الان . اذ اننا عند ما رفعنا عن عاتق المرأة تربية الابناء القينا على عاتقها اشياء اخرى لا تقل اهمية عن التربية وهي تهيئة السعادة والهناء المنزلي لها ولزوجها . والعمل الاجتماعي المنظم في زمن السلم

والدفاع بجميع وسائله عن الوطن في زمن الحرب

فالمرأة سوف تدرب على الاعمال الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي ، وعلى كثير من اعمال الرجال في داخل البلاد اذا ما ذهب الرجال الى الدفاع عن الوطن والذود عن حياضه وعلى اعمال المواساة والتطبيب ، كما تدرب على حمل السلاح وخوض غمار القتال اذا دعت الحاجة ومست الضرورة . لهذا فالمرأة في نظامنا ليست قعيدة بيت ولكنها نزيلة جهاد وكفاح شأنها شأن الرجل في السلم والحرب

المرحلة الثالثة ـ المرحلة الجامعية ـ ويكون مركزها في الضواحي من المدن الكبرى وتبدأ هذه المرحلة من الثامنة عشرة وتنتهي بمدد متفاوته بحسب الكلية التي ينتمي اليها الناشيء ، فقد تكون مدة الدراسة اربع سنوات او خمس او ست بحسب ما يوضع لها من انظمة وقوانين

ولا يدخل الجامعة الا كل من تؤهله مواهبه لمتابعة الدراسة الجامعية القائمـــة على البحث العلمي المتواصل والسعي نحو الحقـائق الجـديدة والاكتشافات العلمية .

فالتربيه الجامعيه امتياز لاينالـه الا ذوو المواهب المتفتحة والاستعدادات والميول القوية الواضحة ، فليست الجامعة في نظامنا مكانا لاضاعة الوقت كما هو الحال في النظام الحاضر وخصوصا عند الموسرين ، وليست مـكانا للظفر بشهادة عالية يخرج صاحبها للحياة لايستطيع ان يعمل عملا ما فيسعى الى الوظيفة ويريق ماء وجهه في سبيلها ، فاذا لم يجدها ولم يستطع ان ينالها بعد بذل الوسائط والشفاعات قعد في عقر داره ملوما مدحورا كاسفـا حزينـا .

ليست الجامعه مكانا لكثير من الشبان الذين يدعون انهم مادخلوهـا

الا حبا في العلم ولكننا كثيرا ما نراهم يتوقون الى انهاء دروسهم بسرعة ويودون لو يقصرون عدد سني الدراسة بل كثيراً ما رأيناهم يضربون عن دروسهم في سبيل تقصير مدة الدراسة او احتجاجا على اطالتها ، او كلما فكر ولاة الامور في تعديل المناهج او رفع نسبة النجاح لرفع المستوى العلمي والثقافي للطلاب . بل ليست مكانا لاولئك الطلاب الذين عند ما يطمئنون على ان الشهادة اصبحت في يدهم جعلوا بينهم وبين الكتب وبينهم وبين الدرس والبحث سداً منيعا .

كلا ان الجامعة كما قلت مكان للبحث العلمي المتواصل مكان للاكتشافات العلمية، مكان للتوجيه الثقافي والادبي ، هي عمل ونشاط وبحث وتدقيق . اساتذتها يبحثون في المعامل والمخابر وطلابها يتبعون نشاط اساتذتهم ويساعدونهم في بحثهم . لذلك يجب ان تصدر عن الجامعة جميع الاكتشافات العلمية والفنية .

هذه هي وظيفة الجامعة في نظامنا لا القاء المحاضرات النظرية التي يأخذها التلاميذ عن الاستاذ المحاضر مضطربة مفككة ثم يحاولون استرجاعها كما تسترجع الببغاء الكلام .

ويكون توزيع الطلاب اصحاب المواهب على كليات الجامعة كل بحسب ميوله واستعداداته . فصاحب الموهبة الطبية مثلا يدخل كلية الطب ، وصاحب الموهبة الهندسية يدخل كلية الهندسة وهكذا ... حتى يستطيع كل طالب ان يبرز في الناحية التي يتخصص لها ويعمل فيها فتجني بذلك الامة ثمار اتعابها ونتيجة جهودها

وفي هذه المرحلة يتلقى الطلاب اناثا وذكوراً التدريب العسكري حسب ارقى الانظمة الحديثة

والتعليم الجامعي مختلط الاناث مع الذكور

الفصل السابع

تقسيم التلاميذ

مما لا يخفى على احد ان الاطفال ليسوا على حظ او مقدار واحد من الذكاء ، فهناك النابغة والذكي ومتوسط الذكاء وضعيف الذكاء والغبي ، ومن البديهي ان ليس هناك مفكر يستطيع ان يدعي بان في امكان هؤلاء ان يستفيدوا افادة واحدة فيما اذا وجدوا في صف واحد يتلقون دروسا واحدة بطريقة واحدة دون ان نضحي بكثير من اوقات بعضهم ونحد من نشاطهم او دون ان نوقع الاضطراب في سير البعض منهم ايضا ، اذ ان لكل واحد قواه العقلية التي لا يمكنه ان يتعداها مهما بذل من جهد وقوة فمن الخطأ اذن ان نضع جميع هؤلاء او اكثرهم في صف واحد ونفرض عليهم منهجا واحدا ونطلب منهم ان يسيروا جميعا في سوية واحدة ، لان معنى ذلك قتل للاذكياء منهم وتضحية بهم وباوقاتهم الثمينة التي يمكن ان يستغلوها في الدرس عوضاً عن انتظار بقية رفاقهم الذين هم ادنى ذكاء منهم حتى يستطيع المدرس افهامهم ما لم يستطيعوا فهمه لاول مرة . ومعنى ذلك ايضا فشل كثير من هؤلاء ضعيفي الذكاء ورسوبهم عدة سنين ويكون من جراء هذا الرسوب ان تضيع ثقتهم بانفسهم ويزهدوا في العلم والتعلم ، وقد يستمر هذا الاثر ، اثر ضعف ثقتهم بانفسهم ، مصاحباً لهم طوال حياتهم حيث يسبب لهم الفشل اثر الفشل في حين انهم لو اتيحت لهم ظروف

تعليمية بحسب قواهم العقلية واستعداداتهم الذهنية وميولهم الطبيعية وبطرق تعليمية قويمة لحصلوا على فائدة جلى في هذا السبيل

فلاجل ان نعطي كلا حقه من التربية والتعليم ونسير بكل حسب قواه العقلية ومستواه الفكري وميوله الطبيعية لا بد من ان نقسم التلاميذ الى فئات متجانسة في الاستعداد العقلي والميل الطبيعي والذكاء الفطري (نوابغ اذكياء ، متوسطي الذكاء ، ضعيفي الذكاء ، اغبياء) وان نضع لكل فئة من هذه الفئات المنهج الذي يلائمها موزعا على عدد السنين يراعى فيه ان يكون مقرر كل سنة حسب طاقة الفئة التي وضع لها ، ومتى انتهى التلميذ من مقرر سنته انتقل الى مقرر سنة اخرى في فئته

ويجب ان تراعى في هذا التقسيم الميول والاستعدادات ايضا فيقسم افراد كل فئة الى اقسام متعددة بحيث يوضع افراد الميل الواحد والاتجاه المتجانس في فرقة او صف واحد ، وفي هذه الحال يكون النقل من صف الى آخر او من فرقة الى اخرى غير خاضع لقسوة الامتحانات الحالية فنستطيع ان نقلل من قيمة الامتحانات ما شئنا ، بل نستطيع ان نمحو كلمة امتحان محوا كليا ، ونعتمد في نقل التلاميذ من فرقة الى اخرى على رأي المدرسين والمشرفين ، لان الرسوب او التأخر الدراسي في مثل هذا التعليم لا يمكن ان يقع لاننا نسير في تعليمنا حسب طاقة التلميذ وقواه العقلية ، ولا يمكن للتلميذ ان يتأخر عن الاستذكار والدرس لان الجو مهيأ له وجميع مظاهره تحض على الدرس والتعلم ، فليس في هذه المدرسة كسول او ضعيف بل كل يسير بحسب مقدرته العقلية ومستواه الفكري وحسب استعداداته ومواهبه وميوله الطبيعية ايضا

ومن اهم ما يجب مراعاته في هذا التقسيم هي المرونة التي تسمح بنقل

تلميذ من فئة الى اخرى اذا ظهر ما يستدعي ذلك ، كأن يظهر بانه اضعف ذكاء من افراد الفئة التي وضع فيها او اقوي ذكاء منها ، او ظهر لديه ميل في ناحية ما اقوى من ذلك الذي كان يظن انه اقوى ميل لديه

اما طريقة الكشف عن ذكاء الاطفال ومستواهم العقلي فهي طريقة المقاييس المعروفة الخاصة بالذكاء الى جانب رأي المدرسين والمشرفين والمربين وستكون عملية الكشف عن الذكاء في هذا النظام اسهل واقل تعقيدا واكثر دقة منها في مثل نظامنا التعليمي الحاضر ، ذلك لان هذه المقاييس يؤثر فيها كثيراً اختلاف الوسط الاجتماعي واختلاف التعليم والوراثة. ونحن في نظامنا هذا قد وحدنا بين التلاميذ في المؤثرين الاولين ، اي وحدنا بين التلاميذ في جميع الظروف التي يمكن ان تؤثر في المقاييس التي تدل على ذكائهم الفطري ولم يبق لدينا الا العامل الهام وهو الوراثة ، فبمكنتنا ان نكشف عن الذكاء الصرف الذي لم يصبه شيء من عوامل سوء المحيط ليضعفه او يطمسه او يموهه بطلاء كاذب ، ويجب ان تكون مقاييسنا عند ذاك مستوحاة من البيئة التي اصبحنا فيها ومما يسودها من معارف ، اذ ان اكثر المقاييس الموضوعة حالياً مراعى فيها الوسط الاجتماعي الحاضر والنظم التعليمية الحالية

وهذا التقسيم بالنسبة للذكاء يكون في المرحلة الابتدائية ثم في القسم الاول من المرحلة الثانوية ، وتنتهي هذه المرحلة في سن الخامسة عشرة عند جميع الفرق

اما القسم الثاني من المرحلة الثانوية فيكون تقسيم التلاميذ فيه بالنسبة لذكائهم ومستواهم العقلي وبالنسبة لميولهم واستعداداتهم ايضاً ، فيوزعون على ثلاثة انواع من المدارس

١ – مدرسة ثانوية تمتاز بدراسات نظرية تعتمد على النشاط الذاتي للطلاب وخصوصاً فى العلوم النظرية كالاداب والتاريخ والجغرافيـــة والفلسفة الخ ...

ويتكون طلاب هذه المدرسة من الطلاب الاذكياء والمتوسطين في ذكائهم ، ولكنهم لا يجتمعون في فرقة واحدة بل يكون الاذكياء في فرقة والمتوسطون في فرقة اخرى ، ويمكننا ان نتوسع في برامج الفرقة الذكية فنضيف اليها مواد جديدة غير موجودة لدى غيرها من الفرق الاخرى حتى يكون هناك تلاؤم بين الفرقة الذكية وغيرها في ملء الوقت او يمكننا ان نتوسع في نفس المواد المقررة مع الاذكياء اكثر من غيرهم .

وتفتح ابواب الجامعة لكل من الاذكياء والمتوسطين في ذكائهم فيكون منهم الكيميائيون والطبيعيون والمهندسون والمحامون والقضاة والتجار والموظفون ذوو المكانة العالية والمتوسطة

٢ – مدرسة ثانوية تمتـــاز بالدراسات العملية لذوي الاستعدادات والميول العملية من الطلاب وتعتمد الدراسة فيها ايضا على النشاط الذاتي ويكون طلابها من الاذكياء والمتوسطين في ذكائهم ايضا ، وهؤلاء يكون منهم المهندسون الميكانيكيون والكهربائيون والفنيون في الوسائل الصناعية والزراعية وغيرها

٣ – مدرسة ثانوية تمتاز بالدراسة العملية لمن هم دون المتوسط في ذكائهم بحيث يتوجه الطلاب فيها توجيها عملياً مهنيا ويتكون منهم الصناعيون والزراعيون واصحاب الحوانيت والمهن الحرة الخ ..

٤ – مدرسة ثانوية لذوي الذكاء الضعيف والاغبياء ، فتخصص لهؤلاء دراسات عملية مع التثقيف قدر المستطاع .

وكذلك تنشأ دراسات خاصة لذوي العاهات التي تؤثر تأثيرا مباشرا على التعليم كالعمى والصمم فيعلمون اعمالا خاصة بحيث يستفيد المجتمع منهم قدر الامكان

اما النوابغ والعباقرة فبعد ان نكشف عن نبوغهم نسير بهم مستقلين عن باقي زملائهم وتخصص لهم دراسات خاصة بهم حيث يحاطون برعاية وعناية قوية ويعدون اعداداً خاصا حتى تقطف الامة الثمرة المرجوة منهم

وبهذه الطريقة نستطيع ان نستغل مواهب الامة العربية وامكانياتها الفكرية والعقلية والروحية احسن استغلال ، وبهذه الطريقة تعود تربتها الى الخصب وانبات العباقرة والنوابغ بعد ان محلت مدة طويلة لانها لم تجد السماد والري

ولقد اخرجت الارض العربية بعضاً من ذوي الذكاء الفذ رغم جفاف التربة وضعف عوامل الانبات ، ولكن كانت الرياح السموم التي تهب من المجتمع المتأخر تعصف بهم فيقفون مناوئين معاندين ثم لا يلبثون ان يذبلوا ويجفوا ثم يقعوا صرعى امام قساوة وعنف هذه الريح العاتية التي تحملهم وتذروهم في الفضاء ، لان اولئك الرجال الافذاذ مهما كانت لهم قوة من ذاتهم فانهم لا يستطيعون مقاومة عوامل قاهرة عاتية تكتنفهم من جميع الجهات

ولقد انبتت الارض العربية ايضا كثيرا من الاذكياء الا ان كثيرا منهم قد انحرفوا عن جادة الاخلاص والطريق القويمة = وذلك لسوء تربيتهم = فاخذوا يعملون لمصلحتهم الذاتية وانانيتهم الضيقة حتى اصبحوا نقمة على امتهم وحربا عوانا على مصلحة وطنهم وقوميتهم

فالامة العربية الآن بامس الحاجة الى الافراد النوابغ والاذكياء

ونحن في نظامنا التربوي والتعليمي هذا نريد ان نضع ايدينا على هؤلا ونفتح امامهم السبل ليسلكوا بالامة العربية النهج القويم والطريق المستقيم المؤدي الى عزها ومجدها

ونريد ان نعني بكل فرد من افراد الامة عناية هي حق له في عنق امته وذلك بان نعلمه ونتيح الفرصة له لاستغلال مواهبه الى اقصى حد يستطيعه . ونريد توزيع النوابغ والاذكياء على نواحي الحياة المختلفة بحيث يتاح للامة ان تنتفع من عبقريتهم في شتى مناحي حياتها.

وهذا التقسيم لا يرمي الى ايجاد طبقات اجتماعية في الامة او انه يقف سدا مانعاً وحجر عثرة امام تقدم الفرد يمنعه من ان يتحرر منه ، كلا بل ان الفرد حر طليق في مجتمعنا هذا يستطيع ان يكون ما يشاء وان يسعى ويجد ويسمو قدر استطاعته وقدر ما يظهر من كفاءة في ميدانه او في ميدان آخر

فتنظيمنا هذا كتنظيم « احجـــار الشطرنج » اذ يقوم كل حجر بوظيفته المخصصة له ولا يمنعه ذلك من التنقل في الميدان او القيام بوظيفة اخرى غير وظيفته اذا استطاع او دعت الظروف الى ذلك ، وخصوصا ان الفرد لا يخرج من ميدان التعليم الا وهو صالح لنواحي مختلفة في الحياة

فميزة هذا التعليم الاساسية انه يعتبر الامة طبقة واحدة متساوية ليس بين افرادها تمايز ما ـ الا في الاستعداد الفطري والموهبة الطبيعية التي وهبتها لهم الطبيعة ـ وبناء على ذلك يأخذ كل فرد في الامـة مكانته في الحياة الاجتماعية

ولا بد ان يصاحب ويدعم هذا النظام التربوي التعليمي نظام آخر اجتماعي يغاير هذا النظام الذي نعيش في ظله في الوقت الحاضر بحيث يكون

من اهم اسسه :

١ - تأمين حق الحياة لكل فرد من افراد الامة العربية عن طريق تأمين العمل له ، اي يجب ايجاد عمل لكل فرد من افراد الامة واذا لم يكن هناك عمل ما ، يجب على الدولة ان تكفل للفرد ولعائلته حق الحياة طول مدة تعطيله

٢ - تأمين المسكن الصحي اللائق لكل عائلة ، واساس العائلة يكون مؤلفاً من الزوج والزوجة فقط . ولا بأس من اضافة بعض الاقارب في الحالة الضرورية او اذا رغب الزوج والزوجة في ذلك كالاب او الام في حالة موت احدهما وبقاء الآخر وحيداً ، او الخالة او العمة او الجدة او الجد في حالة بقائهم وحيدين ، او الاخ او الاخت غير المتزوجين الخ ...

اما الابناء فتتكفل الدولة بتربيتهم ، وقد ينضمون الى عائلة والديهم بعد عودتهم من مدرسة الدولة وقبل ان يكونوا عائلة

واذا اجتمع للرجل اقارب كثر ولا يودابقاءهم عنده يمكن اعطاؤهم مسكناً خاصاً بهم وفصلهم عنه حتى لا ينغصوا عليه حياته المنزلية

ويكون المسكن حينئذ كبيراً اوصغيراً حسب كبر العائلة اوصغرها ويشترط ان يكون ملكا لساكنيه

٣ - تأمين التطبيب والمداواه المجانية للافراد الفقراء

٤ - الحد من الملكية فيجب الا يملك الفرد من العقارات الحجرية الا ما يلزم لسكناه واسرته حتى يتيح لغيره من الاسر ملك منازلها ، ويجب على الدولة حينئذ ان تقيم مشاريع لبناء المساكن وتحسينها ، ويباح للفرد ان يملك من المخازن والمقاهي والمحلات العامة بقدر محدود ولكن لا يباح له ان يملك من الاراضي والمزارع الا ما يقدر على استغلاله استغلالا

تاما هو وأفراد عائلته . ولا يسمح لاحد من سكان المدن التملك في القرى والارياف ويسمح لهم التملك في ضواحي المدن التي يسكنونها ضمن شروط الملكية ، ويكون استغلال الارض بصورة عامة حسب نظام المزارع التعاونية الحديث

٥ ـ تحديد الثروة عن طريق فرض ضرائب تصاعدية

٦ ـ يكون الزواج اجباريا في الخامسة والعشرين الا اذا كان هناك مانع صحي

وبهذه الطريقة يمكن ان يسود المجتمع العربي شيء من التوازن والانسجام اذ تكون الامة قد تحررت من استعباد المادة ونيرها المذل ومن الشهوة الجسدية اللتين تطغيان على القيم الروحية والوجدانية ، وتصبح الامة طليقة من قيود المادة ، تعمل في سبيل مثلها الاعلى وتضحي لاجله عندما يدعوها غير هيابة ولا مترددة

***

ولاجل تطبيق او تنفيذ هذا النظام لا بد من قيام مرحلة اعداد وتهيء له لانه من الصعب على الامة العربية في الوقت الحاضر تحقيق مثل هذا النظام دفعة واحدة نظراً للظروف المضطربة التي تجتازها والفقر المادي والمعنوي الذي ترزح تحت ثقله ، فلا بد من عدة امور اصلاحية تكون خطوة اعداد لهذا المشروع تتناول التعليم اولا والحياة الاجتماعية ثانياً، واهم هذه الامور ما يأتي :

١ ـ لا بد من جعل الغرض من التربية والتعليم هو عين الغرض الذي حددته سابقاً

٢ ـ احداث انقلاب وتغيير في وسائل وطرق وانظمة التعليم والتربية

حتى تتلاءم مع تطور التربية والتعليم في العصر الحاضر

٣ ـ الاسراع في وضع خطة حكيمة للسير نحو تعميم التعليم ومجانيته في جميع البلاد العربية

٤ ـ اخراج جميع المدارس الاجنبيةمع مدرسيها الاجانب من جميع البلاد العربية

٥ ـ سيطرة الدول العربية على جميع المدارس والجامعات في بلادها واجبارهاعلى ان تسير حسب خططها وغاياتها ومناهجها ثم تعين لهاالمدرسين والمشرفين وتكف ايدي هؤلاء الذين ينفثون فيها روح التفرقة والرجعية او ينفثون فيها مبادئهم وافكارهم الهدامة

٦ ـ الاسراع في توحيد المناهج التعليمية بين جميع البلاد العربية ويشترط ان تتجه هذه المناهج اتجاهاً علمياً قويا

٧ ـ الاكثار من معاهد دور المعلمين وتوحيد مناهج هذه المعاهد او ان يكون هناك معهد واحد لجميع البلاد العربية يتخرج منه جميع معلمي ومعلمات البلاد العربية ، ويجب ان نلاحظ ملاحظة دقيقة الناحية الخلقية عند اختيار المعلم كأن نتتبع تاريخه الخلقي بحيث يفضل صاحب الخلق القويم على المتفوق في الناحية العلمية وهو سيء الاخلاق او انه ذواخلاق ضعيفة .

٨ ـ اشراف الدولة اشرافا دقيقا على تغذية الاطفال وعلى صحتهم وخصوصا الفقراء منهم

هذا من ناحية الاصلاح في التعليم وهو ما يتعلق بالتلاميذ والطلاب اما ما يتعلق بالحكومة والشعب ووجوب توجيهه وجهة قومية اجتماعيـــة والعناية به ثقافياً ومادياً حتى يشمل الاصلاح جميع النواحي في الامة ،فيجب:

١ ـ قيام حكومة عربية قومية صالحة تسيطر على جميع الاقطار العربية او على القسم الاكبر منها على الاقل

٢ ـ سن قوانين تحدد بموجبها الملكية.

٣ ـ الحد من الثراء الفاحش بفرض ضرائب تصاعدية وبوسائل اخرى غيرها

٤ ـ ايجاد الوسائل واتاحة الفرصة لكل عربي ان يملك في بلاده اذ ان الملك يشكل جزءا من شخصية المالك ، فلكي يكون لكل عربي شخصية وطنية وقومية ثابتة يجب ان يكون مالكا في الوطن العربي والا لزمه الشعور بانه غريب عن هذا الوطن

٥ ـ تحريم التملك على الاجانب لان كل اجنبي يتملك في ارض الامة العربية معناه دخول جرثوم فتاك في جسم كائنها الاجتماعي فيسبب له آلاما وامراضاً

٦ ـ عدم اعطاء الجنسية العربية للاجانب ولو اقاموا في البلاد العربية آمادا طويلة

٧ ـ منع التزوج بالاجنبيات مطلقا ولاي فرد كان

٨ ـ اعطاء المرأة الحقوق السياسية الكاملة

٩ ـ العمل على الغاء الطائفية نظريا وعملياً

١٠ ـ العمل على رفع مستوى الاقطار العربية المتأخرة كالحجاز واليمن والامارات الواقعة تحت النفوذ البريطاني وغيرها حتى يتم التماثل والانسجام بين جميع الاقطار العربية فيكون الاندماج والاتحاد اسرع واحكم

١١ ـ تحضير البدو اذ لا يليق بعصر الحضارة والنور ان يكون في قلب البلاد العربية حياة بدوية متأخرة

١٢ ـ السعي حثيثاً لرفع المستوى المادي للطبقات الفقيرة وخصوصاً الفلاحين والعمال بايجاد مشاريع زراعية وصناعية

١٣ ـ العمل على تصنيع البلاد العربية بالاكثار من الصناعات وتوسيعها

١٤ ـ العمل على بث الروح القومية وتقويتها بين جميع افراد الامة العربية بجميع الوسائل

١٥ ـ القضاء على صحف التهريج والمجلات والروايات التي تستثير الغرائز الجنسية والتي تتاجر بالادب الغث الرخيص لانها تحط من مستوى الشعب الخلقي وتقضي على احساسه وذوقه الادبي وتثير فيه احط الغرائز البهيمية وتصيره عبدا لها في حين اننا نريده محررا منها مثقفاً ناضجاً ذا احساس وذوق ، سليما في خلقه وعقله وجسمه ، وقد كثرت وانتشرت هذه المجلات في الوقت الحاضر بصورة تدعو للقلق

وقد انزلق الى هذا الادب الرخيص الذي يملأ العامة وينزل الى احط من مستواها بعض الكتاب الكبار او الذين جعلتهم الظروف كباراً في نظر انفسهم وفي نظر تلك الطبقة من الشعب ، فيجب على الدولة ان تضع حداً لهذه المهزلة في اخلاقنا وادبنا وثروتنا الثقافية وتحول دون هذا الادب الضار ودون ظهوره بضربها على ايدي المتجرين فيه في حين انها تشجع الادب الصحيح الذي يهدف الى تثقيف الجماهير وتهذيبها وصقل مشاعرها وتوجيهها وجهة قومية

١٦ ـ ان يوجه الادب وجهة قومية وان يسعى الكتاب القوميون جهدهم لتقريب الفكرة القومية الى عقول عامة الشعب بان يجعلوهم يلمسون تاريخ امتهم ويتصلون بالعوامل التي كونت هذا التاريخ ويطلعوهم على نواحي العظمة القومية والكفاح والنضال القومي فيه ، يصورون لهم كل

ذلك بصورة اخاذة تلهب الروح وتثير الوجدان ويبينون لهم بان هـذا الانطواء الذي انطوته الامة العربية على نفسها وهذا التأخر عن ركب الحضارة سيتبعهما حتما تفتح للحياة والنور وتقدم وسمو نحو السؤدد والمجد اي ان يبثوا في الامة ثقتها بنفسها وانها ليست اقل استعداداً ومواهب وامكانيات من الامم الاخرى

وقد مضت قرون وما يزال الاجنبي يزرع في نفس الامة العربية الشعور بالنقص ويلقي في روعها بانها اقل من غيرها من الامم في المستوى العقلي والذكاء والمواهب والامكانيات ، وما زال يغذي هذا الشعور حتى آتى اكله واصبح القسم الاعظم من الامة العربية يشعر بانه مغلوب على امره وان الاقدار قد تحكمت فيه وانه ليس لديه من المواهب والمؤهلات للحياة ما عند الشعوب الاخرى وانه خلق لينقاد ويستعبد وتلك الشعوب خلقت لتقوده وتستعبده ، حتى اصبحنا نسمع كثيرا من العامة عندما تحدثهم عن الوطنية والقومية والجهاد والكفاح والحرية والتطلع الى العزة القومية والمجد التالد يقولون بتهاون وكسل ونغمة فيها رنة التواكل تحرق قلب المخلص « خليها على الله ، او طول عمرك يا زيبة فيك هالعود » وهذا قول يكاد يدخل اليأس على القلب من شدة تحجر عقول هؤلاء التي اصبحت راضية بقسمتها كما يقولون وما قسمتها الا الذل والخسف والفقر والبؤس والجهل .

ولقد كان لرجال العرب المسؤولين ولرجال الدين في العصور الماضية والعصر الحاضر ايضا القدح المعلى في ايصال الامة العربية الى هذه الحال المحزنة من الاتكال والكسل وقتل روح العزيمة . فقد كان هؤلاء المسؤولون يغذون هذا الشعور ليفهموا الفقير البائس بان فقره وبؤسه وتعاسته انما

هي قدر من الله قد خطها عليه في اللوح المحفوظ منذ الازل السرمدي

ولا اريد ان اطيل في هذا بل اريد ان اقول يجب ان يوجد في الوقت الحاضر ادب توجيهي يدفع الامة الى التوثب والطموح يبين لها اهدافها ويسير ويوجه قواها الفكرية الى هذه الاهداف حتى تصبح عقيدة لها تسود حياتها وتجمع حولها كل ما في نفسها من ايمان واخلاص وما في عقلها من فهم وفطنة وذكاء ، ويفهم الامة العربية بان لها رسالة في هذه الحياة قد اعدت لتأديتها فيشرح لها رسالتها ويحثها على النهوض باعباء هذه الرسالة ونشرها ، ويجب ان يكون هذا الادب متصلا بحياتها متغلغلا فيها الى اعماقها يكشف عن ادوائها ويصور عللها ثم يصف لها انجع الدواء . كما يجب ان يقف كتابها اقلامهم لهـــذه الغاية وان ابوا اعتبروا فارين من المعركة الكبرى المعركة المحتدمة الان بين القومية العربية وبين الشعوب الاخرى الساعية للقضاء عليها . بل اعتبروا متآمرين مع اعداء العروبة وليس لمتآمر على العروبة حياة في بلادها ، فنحن الآن في وقت يجب ان تجند فيه جميع القوى والامكانيات في سبيل بعث الامة العربيـــة ، ولا نستطيع ان نسمح لاي شخص مهما كان شأنه ان يعتزل ويتوارى من المعركة او ان يقول اريد ان ابقى في برجي العاجي افكر على هواي وابحث عن ليلاي

١٧ ـ القضاء على التهريج السياسي الذي يهدف الى الالتفاف حول الاشخاص المتزعمين والتصفيق لهم والتعلق بهم دون الالتفات الى القومية الصحيحة والوطنية الصادقة ، هذا التهريج الذي يجعل القومية والوطنية هي التعلق بهؤلاء الاشخاص الذين ينفثون في روع العامه ان القوميـة والوطنية الصادقة لا يمكن ان تستشف الا من خلال شخصيتهم ، وهؤلاء

الافراد اكثر ما يبنون مجدهم السياسي على اكف هؤلاء العامة

١٨ - تجنيد الشباب المتعلم وبثهم في الارياف والقرى ليقضوا على الجهل وينيروا بعض الانارة العقول المظلمة لاولئك القرويين السذج، ويجلوا قلوبهم ونفوسهم الصادئة، ويجب ان يشمل التجنيد اكثر ما يشمل اساتذة المدارس وطلبة الجامعات اناثا وذكوراً

هذه العوامل ذات اثر قوي في احياء الامة العربية ولا بد من تنفيذها حتى تكون خطوة اعدادية في سبيل مشروعنا الكبير

الفصل الثامن

المعلم او المربي

ان الامر الهام الذي يجب ان تتجه اليه عنايتنا جميعها هو اعداد المربي للاجيال القادمة لانه هو الطبيب الروحي الذي يعالج ارواح ابناء الامة ويبحث لها عن انجع دواء حتى تكون هذه الارواح صافية المزاج خالصة من الكدر حرة قوية تستطيع ان تقف امام عواصف الزمن ومحن الدهر واضطراب الفكر وتشعب النفس

والمربي هو عدة الامة في السراء والضراء ومنشئ الاجيال وباعث النهضات وقائد الامة الى الخير او الشر بحسب ما تكون عليه نفسه ، فهو المثال الذي يشكل ابناء الامة بوحي من روحه والهام من فكره

ولقد ادركت الامم الحديثة قيمة المربي هذه ، فاخذت تعنى به عناية عظيمة وترفع من مستواه المادي والمعنوي وخصوصا الامم التي تهدف الى الاصلاح عن طريق المدرسة

ولقد اظهر بسمارك الوزير الالماني المشهور في اواخر القرن التاسع عشر اثر المعلم في حياة الامة وتوجيهها وانهاضها حينما قال بعد انتصار المانيا في الحروب السبعينية « بمعلم المدرسة انتصرنا »

وقد قال احد الابطال مرة « لو كنت بين اطفال المدارس خمس سنوات » كما قال احد كتاب الانكليز « ليست المناهج والقوانين المدرسية

والابنية الفخمة والاجهزة العظيمة باكثر اهمية في التربية والتعليم من المدرس فان له اثرا كبيرا فى التلميذ ، في علمه وادبه وفي عمله ومهارته، حسن جداً ان تبنى المدارس وتملأ بالتلاميذ وترسم لها الخطط لاصلاحها واحسن من هذا ان يعد لها المدرسون الاكفاء لينهضوا بها وبالتعليم

لا شك ان بمعلم المدرسة تبلغ كل امة ما ترجوه لنفسها من عز وسؤدد وخير وفلاح لانه يستطيع ان يهيىء الجو الالهامي الذي يستوحي منه الطفل مبادئه وافكاره واخلاقه وعاداته وتقاليده وسلوكه ومثله العليا

فاذا كانت ارادة الخير كامنة في الطفل لا تجد لنفسها مجالا للظهور فان المدرس يستطيع ان يعد لها الظروف ويوسع لها المجال حتى تستطيع ان يعد لها الظروف ويوسع لها المجال حتى تستطيع ان تفصح عن نفسها وتنم عن وجودها وتثمر ثمرتها المرجوة الطيبة. وهو الذي يغري الطفل بالنشاط الدائم ويحبب اليه العمل المثمر ويوجهه الى الطموح والسمو والرفعة . وهو الذي يأخذ بيد الطفل الى الحياة فيبصره بها ويكشف له عن خباياها قليلا قليلا ويرفع الحجب عن بصيرته لتفقه معنى الحياة والوجود ، وهو الذي يعينه على الخروج من ظلمات الحيرة والتردد ويرشده الى ما غاب عن فكره ويفسر له ما يراه من مظاهر الحياة المعقدة التي يقف فكره حائرا امامها ، تائها في بيدائها فيساعده على حلها وايضاحها والتوفيق بينها حتى تكون امامه بينة المعالم نيرة المسالك

والمعلم يبعث فى التلاميذ محبة التفكير الدقيق ومراعاة المنطق القويم ويحاول ان يطبعهم على ذلك بان يبتكر المسائل التي تثير فيهم التفكير وتدعوهم الى طول التأمل والمقارنة حتى يصلوا الى النتيجة الصحيحة ، والمعلم يريد الخير كل الخير لتلاميذه فهو يود ان يراهم في اسمى المراتب واعلى

الدرجات يحيون حياة سعيدة قائدها هدى العقل وحاديها الشعور الانساني العميق لان ذلك يدخل على نفسه شعوراً بقيمته واثره وثمرة مجهوده، فالمعلم اذن صانع الاجيال وخالق الامم وباعث النهضات

ونحن الآن نريد ان نخلق هذا المعلم او بالاحرى هذا المربي ليعيننا في نهضتنا وليبعثنا بعثاً جديدا ، نريد هذا المربي لنقول كما قال بسمارك « بمعلم المدرسة نهضت الامة العربية وانتصرت على اعدائها الكثر الالداء

فكيف نستطيع ان نخلقه ؟.

قبل ان نبحث عن ذلك لا بد لنا من ان نمر مروراً سريعاً على دراسة موجزة للظروف والاحوال النفسية لكل من المعلم والمتعلم في الوقت الحاضر وفي النظام الحالي لنرى مدى قوة العقبات التي تعترض التربية والتعليم في الوقت الحاضر ومن ثم يتبين لنا الفرق العظيم بين التربية المستقبلة التي نرجوها والتربية الحاضرة التي يظهر لنا منها انها لا يمكن ان تثمر الثمرة المرجوة في مثل هذه الظروف والاحوال التي تعيش فيها الامة العربية حتى ولو تحسنت هذه الظروف تحسناً ملموسا

فالمعلم فرد كسائر الافراد له ظروفه الخاصة وله مشاكله الذاتية واحواله النفسية تؤثر فيه وفي تفكيره واتجاهه وسلوكه ، فقد نشأ وهو مثقل بآثار الطفولة ومشكلاتها وما طرأ عليه في ادوار نموه من مشاكل عديدة ، مثقل بمشكلاته الجنسية ان كان عزبا وبمشكلات امرأته واولاده ان كان متزوجاً ، وهو كذلك متأثر باختياره لمهنته او حمل نفسه عليها ودرجة حبه لها او كرهه لها ؛ فاحيانا يدخل مهنة التعليم بمحض رغبته وميله واحيانا تدفعه الظروف القاهرة دفعاً الى هذا العمل وهذه المهنة كما يحمل نوع نظرته لهذه المهنة من حيث انها اداة لكسب العيش او من حيث

عليهما القيام بمهمتهما بكل دقة واخلاص ما لم توفر لكل منهما الناحية الجنسية وخصوصا المرأة اذ من الصعب جدا ان تكون اما كاملة لصغار الاطفال او معلمة صالحة ما لم تكن راضية من الناحية الجنسية ، ومن الخطاء النفساني استخدام النساء العوانس معلمات اذ ان العانس تحتاج الى ضبط نفس دقيق لايكاد يتيسر لها دائما ، في حين انه قد يتيسر للرجال لانهم اقدر على ضبط انفسهم والسيطرة عليها .

٤ ـ يستمر المربي في التربية والتعليم حتى الخمسين او الخامسة والخمسين من عمره وعند ذلك يخير في ان يستمر في عمله ويقضي ما بقي من حياته بين ابناء الامة يتعهدهم ويرعاهم او ان يرجع الى المدن فيقيم في اية مدينة شاء معززا مكرما يقضي ما بقي من عمره في هدوء وسكينة ودعة . وهنا يجب على الدولة ان تمنحه فور انتهائه من عمله وسام شرف او اكثر تقديرا للجهود التي بذلها في خدمة الامة ، او ان تقيم له نصبا تذكاريا او لوحة تخلد اسمه عليها اذا اقتضى الامر ، كل ذلك بقدر عظمة الجهود التي يبذلها ، وكذلك يجعل للمعلمين مدفن خاص بهم يسمى باسمهم تقديرا لهم ولعظمة مكانتهم ووظيفتهم في الامة .

٥ ـ بعد ان تستتب هذه الخطة وهذا النظام يؤخذ المربي اول تخرجه من معهده الى التعليم الثانوي حتى اذا بلغ الثلاثين من العمر او الخامسة والثلاثين ينقل الى الجامعة فيستمر فيها مدة تتراوح بين عشر سنوات ينقل بعدها الى مدرسة الصحراء ، فاذا لم يكن له مجال في الجامعة لعدم وجود امكنة شاغرة يرسل الى التعليم في الصحراء ويستمر هناك حتى الخمسين او الخامسة والخمسين على الاكثر

فبهذه الطريقة يمكننا عزل الناشئين في الامة العربية عن حاضرهم الفاسد وبهذه الطريقة يمكننا خلق مربين ذوى امكانيات وقدرات على خلق اجيال عربية صالحة لان تحيا وتعيش في عصر كهذا العصر وبين امم كالامم المتمدينة الراقية الحاضرة بل بهذه الطريقة ستكون الاجيال العربية القادمة اسمى وارفع امة عرفها الزمن ودون لها التاريخ .

كلمة اخيرة

رب قائل يقول : ان في حرمان الاباء من تربية ابنائهم وابعاد الابناء عن والديهم ما يضعف حياة الاسرة او قد يحرمها عنصرا من عناصر سعادتها . لذلك ابادر فاقول : ليس في هذا النظام ما يضعف حياة الاسرة او يبعد عنها عنصرا من عناصر سعادتها لانه سيبقى للاسرة كيانها الحقيقي وهو الزوج والزوجة . تعقد بينهما اواصر المحبة وروابط الحياة المشتركة التي سيتعاونان على تقويتها وتمنيتها ، وان اضعف شيئاً منها فانما يضعف تلك العصبية العائلية الذميمة والعمل لها والتعلق بها تعلقا شديداً مما قضي على حياة الامة العربية بالشقاق والنزاع والتفرقة منذ ان شبت الامة العربية حتى الآن .

ثم ان الاسرة في العصر الحديث وعند الامم الراقية لا تتكون من اكثر من الزوج والزوجة والاولاد ، على ان كثيراً منها قد اخذ يتخلص من عبء الاولاد وعبء تربيتهم بارسالهم الى المدرسه الداخلية مدرسة الامومة او الحضانة لتربيتهم والعناية بهم عناية خاصة قد لا تتوفر لهم عند والديهم ،

وليس لدى الاسرة الحديثة من الوقت ما يمكنها من ان تعنى بتربية ابنائها لذلك تكل امر تربيتهم الى اناس مختصين قد وقفوا انفسهم وخبراتهم

لهذا الشأن الخطير والمهمة الجليلة .

اما السعادة العائلية فكثيرا ما تكون حقيقية عند خلو المنزل من الاولاد وخصوصا عند تلك الاسرة الفقيرة في نسلها الضعيفة في مواردها التي لا تتيح لها ظروفها التعيسة وحياتها البئيسة المليئة بالتعب والكد ولا يتيح لها النظام الاجتماعي الظالم ان تشبع جوعها وجوع ابنائها فكيف تتمكن من تعليمهم وتربيتهم تربية صالحة ؟

وهاكم الرجال الذين لم يرزقوا اولاداً فان احدا منهم لم يدع بان عنصراً من عناصر سعادته العائلية قد فقد بفقدان الاولاد بل بالعكس تراه حرا طليقا من قيود كثيرة ومسؤوليات كبيرة لعدم وجود الاولاد لديه .

والذي يجعل اكثر الناس ينظرون الى الاولاد على انهم عنصر هام لحياة الاسرة مظاهر اجتماعية كثيرة اهمها :

١ ــ النظام الاجتماعي الاقطاعي والقبلي الذي يستمد العز والجاه من تكاثر افراد الاسرة والعشيرة اذ بهذا التكاثر تستطيع الاسرة او العشيرة فرض سلطتها على غيرها او حماية نفسها ومصالحها من اعتداء المعتدين . لذلك نرى في نظامنا الاجتماعي الحالي كلما كبرت العائلة وامتدت اصولها وتشعبت فروعها واتسعت ارجاؤها في الارض كلما قويت وازدادت مكانتها وعظم نفوذها وقويت شوكتها واخذ افرادها يعملون على السيطرة والنفوذ وكثيرا ما يصعد بعض افرادها الى ارفع المناصب عن هذه الطريق . ومن هنا كانت العصبية العائلية قوية الشكيمة وكان التطاحن العائلي شديدا عنيفا ومن هنا ايضا ضعف مجتمعنا وانحط لان الفرد اخذ يعمل لمصلحته ومصلحة اسرته ويعمى عن مصلحة امته ووطنه .

ومن اثار سوء النظام الاجتماعي ايضا ما هو مشهور عند العامة وهو

شعوره بتوفر الكرامة عن طريقها

ومن جملة مشاكله ذات الأثر الهام نتائج تربيتـــه الاولى ايضا ، فكثيرا ما تكون لدى المعلم دوافع خفية للانتقام تكونت لديه منذ صغره فيجد في التلاميذ متنفسا ومجالا سهلا لهذا الانتقام يظهر في الضرب والنقد وتقييد الحرية وغير ذلك .

وقد تكون عند المدرس عقدة نقص يحاول التعويض عنها في مهنة التدريس التي يتسع فيها مجال التعويض اتساعا كبيرا ، او يكون كارهـا لهذه المهنة لاخفاقه فيها او لخطورة مسؤولياتها وكثرة صعوباتها ، وقد تظهر كراهيته للمهنة ضد الاطفال انفسهم او تظهر في شكل حساسية شديدة في العمل ، وقد يحدث لديه زهد في هذه المهنة لمقارنتها بالمهن الاخرى من الناحية المادية والاجتماعية الى غير ذلك من المشاكل الكثيرة

اما الطفل فهو مخلوق صغير يرى نفسه مدفوعا الى الذهاب الى المدرسة والجلوس امام هذا المعلم بمحض ارادته او خارجاً عنها وهو يحمل مشاكله المنزلية المتعددة ، من حبه لوالديه او كراهيته لهما وغيرته من اخوتـــه وحبه لهم ، يحمل آثار النمو الطليق او المقيد، آثار الحياة الحرة او الحياة المضطربة المقيدة المهددة بالضرب كلما تنفس ، يحمل مشاكل لا تحصى من آثار البيئة المنزلية كشجار عائلي مثلا بينه وبين اخوته او بينه وبين امه او ابيه او شجار بين امه وابيه او مرض احد والديه او تدهور اقتصادي اصاب العائلة او تأخر في الصحة الى غير ذلك من المشاكل الكثيرة التي تنتاب الانسان

فهذان الطرفان بمشاكلهما المتعددة وبالعوامل الخفية اللاشعورية التي تعمل في نفسيهما مجبران على ان يكيف كل منهما نفسه للاخر في ظروف

واحوال قد تكون ملائمة احيانا لنجاح هذا التكيف او غير ملائمة . فهل نستطيع ان نحكم على عملية التربية والتعليم بالنجاح في مثل هذه الظروف التي تتحكم فيها تلك العوامل .

لا استطيع الا ان اجيب بالنفي ، بل لا استطيع الا ان احكم بان هذين الطرفين يتنافران ويكون تنافرهما اشد عند ما يكون المعلم لا يفهم من عملية التربية شيئا ، عند ما يكون المعلم يسير في تعليمه وتربيته سير عشواء الليل ، وعندما تكون العلاقة بين المعلم والمتعلم مبنية على القسوة والغلظة والتحكم ، عند ما يريد المعلم ان يفرض سلطته عند ذلك تتبطن نفس التلميذ بكراهيته له ولهذه السلطة التي يفرضها او التي يمثلها

هذه صورة موجزة عن العوامل التي تتحكم في سلوك وتصرفات كل من المدرس والتلميذ عند ما يجتمعان امام بعضهما والتي يظهر لنا من خلالها ان عملية التربية لا يمكن ان تؤدي الى نتيجة حسنة او تثمر ثمرتها المرجوة في مثل هذه الظروف والاحوال لكل من المعلم والمتعلم ، فاذا اردنا ان نجعل هذه الصورة عند كل منهما اقل تعقيداً ، اذا اردنا ان نزيل هذه العوامل الفعالة المؤثرة في حياة كل من هذين الطرفين ، اذا اردنا ان نصل الى الغاية التي نسعى اليها من عملية التربية والتعليم ، اذا اردنا منهما ان يتجادبا على اساس من المحبة والعطف والتقدير والاحترام لا ان يتنافرا على اساس الكراهية والبغضاء ، اذا اردنا من المدرس ان ينقطع لتلاميذه وتربيتهم وان يبذل اقصى ما يستطيع من خبرة وعلم ومجهود في سبيل رفع مستوى الناشئين ، اذا اردناه ان يكون مخلصا جادا متطلعا الى تحقيق المثل العليا في هذه الحياة او ان يكون كما قال احمد شوقي « كاد المعلم ان يكون رسولا » .

وكذلك اذا اردنا من التلميذ ان يكون منسجما مع المدرس متقبلا جميع ما يأمره به قبولا نابعا من اعماق نفسه لاتقبلا صادرا عن الملحاء الخارجي للنفس ، واخيراً اذا اردنا ان تنجح عملية التربية نجاحا كليا فواجب علينا ان نزيل جميع هذه العوامل المؤثرة في نفس المعلم والمتعلم والتي تعترض عملية التربية وتضع امامها العقبات ولا سبيل الى ذلك الا بتوحيد بيئة التلاميذ وتوحيد تربيتهم وتعليمهم حسب ما بينت سابقا وتوحيد بيئة المعلم والعنايه به حسب الخطة التالية .

١ ـ لابد ان يعنى بتربية المعلم وتعليمه عناية عظيمة ، فمن ناحية التعليم لابد ان يكون زيادة عن تضلعه بالمادة التي يتخصص في تدريسها عالما بطبائع الاطفال عارفا بخصائصهم المختلفه وانواع المشاعر والرغبات والميول التي تسود مراحل الطفولة بوجه عام وما يناسبهم ويصلح لهم في كل مرحلة من مراحل تعليمهم ، دارسا علم النفس دراسة وافية حتى يخرجهم ذوي نفوس صافية خالية من الامراض والعقد يحسن معاملة كل منهم بحسب نفسيته ، ملماً بالامور الصحية ، حسن التصرف ذكيا لبقاً قوي الملاحظة كي يلاحظ تلاميذه ملاحظة دقيقة في حركاتهم وسكناتهم في الصفوف وخارجها جماعة ومنفردين ويبني عليها آراءه في معاملتهم .

ومن الناحية الخلقية لا بد ان يكون خلقياً فاضلا ، حتى يكون باخلاقه واعماله قدوة للناشئين يترسمون خطاه ويقتبسون منه جميع مظاهر السلوك الفاضلة .

ولاجل ان يكون كذلك وجب علينا ان نعد له البيئة والوسائل التي تجعله وتخلقه مدرسا ومربياً كاملا

٢ ـ لذلك نبتديء منذ الآن بانشاء معهد واحد او جامعة واحدة

لاعداد المدرسين والمربين اناثا وذكوراً بحيث يعد جميع معلمي ومعلمات البلاد العربية باسرها ، ويؤخذ طلابه وطالباته موقتا من حملة شهادة التعليم الابتدائي الذين تبدو عليهم مخايل النجابة والذكاء وقوة الشخصية وهدوء الطبع واعتدال المزاج فنوفر لهم التعليم الثانوي والعالي حتى نعدهم الاعداد الذى نرتضيه لهم ونشترطه فيهم

ويكون هذا المعهد بعيداً عن المدن والبيئة الحالية ذا نظام ومنهج مستمد من احدث النظم التربوية والتعليمية ، يختار له المدرسون في اول الامر من جميع البلاد العربية بحيث ينتقون ممن عرفوا بالاخلاق الفاضلة والعقيدة القومية الصحيحة حتى يشرفوا على تنشئة الفئة الاولى من المربين . وفي الوقت الذي نكون فيه قد اخرجنا الفئات الاولى من هؤلاء المربين نستطيع ان نقوم تدريجياً بتنفيذ الخطة الكبرى مع ابناء الامة العربية جميعاً اي نبدأ بنقل جميع الاطفال حديثي الولادة في الامة العربية الى البيئة الجديدة التي تكلمت عنها سابقا ثم نعمل على اخذ سائر المربين من بين الذين نشأوا في هذه البيئة

٣ ـ لا بد لهذا المعلم في البيئة الجديدة من ان نوفر له جميع اسباب الحياة الهنيئة المرفهة وان نجعله يحيا حياة اجتماعية راقية داخل هذه البيئة فيكون للتلاميذ ابا يختلط بهم كما يختلط مع ابنائه ويرعاهم كما يرعى ابناءه لانه لافرق بين ابنـــاءه في الدم وابنائه في الروح . وكذلك نوفر له المرأة ونوفر للمرأة الرجل ، اذ يجب ان يكون المربي متزوجا وتكون امرأته من المربيات ايضا حتى يتكاتفا ويتعاونا في جميع ما يعود على الاطفال بالخير وينشئهم احسن تنشئة .

وقد قلت يجب توفير المرأة للرجل والرجل للمرأة لانه من الصعب

ان من الواجب على الفرد منهم ان يأتي بالابناء لانهم عز وجاه له وانهم يعينونه غداً على الحياة في كبره وشيخوخته وعجزه .

٢ ـ العادة التي نشأنا عليها من اننا نرى الاطفال دائما بين ظهرانينا فاذا فقدناهم فكاننا فقدنا عنصرا هاما من حياتنا .

٣ ـ الغيرة ، فالمحروم من الاولاد يغار من غير المحروم .

وهناك عامل اخر هام في هذه الناحية وهو ان الناس لجوجون ثرثارون لا يفتأون يرددون امام المحرومين احاديث عن قيمة الابناء واثرهم وما يصيب الوالدين من حرمان بسبب عدم وجودهم والانسان خلق يسعى وراء الشيء المحروم منه ويتحسر عليه ان فاته ، كل ذلك ينشيء الغيرة والحسد في قلوب المحرومين فيسعون الى ايجاد الاولاد حتى ولو بالوسائل غير الطبيعية .

٤ ـ نظام الطلاق او الزواج باكثر من واحدة ، فالمرأة لا تشعر بالاستقرار في بيتها الزوجي او الاطمئنان على حياتها الزوجية الا اذا جاءت بالاولاد الذين تشعر انهم القيد الحقيقي الذي يجر زوجها نحوها ،

فمتى خلت الحياة الاجتماعية من هذه العوامل وغيرها استطاع الناس ان يستغنوا عن وجود الاولاد بينهم بل سيصبح الناس يشعرون بالسعادة التامة والحياة المنزلية الهنيئة لان اكثر ما ينغص الحياة الزوجية والعائلية هو وجود الاولاد وتكاليفهم الكثيرة والتبعات الجسيمة الملقاة على كاهل الاباء بوجودهم وخصوصا عند ما يكثرون في عائلة فقيرة او محدودة الموارد اذ ترى رب هذه العائلة يتقلب على جمر اللظى لانه يعمل ويجد ويكد وينصب ولا يستطيع ان يقوم بأود هذه العائلة او يوفر لابنائه ما يود ان يوفر لهم من مأكل وملبس وتعليم وتربية . لهذا شاع في المجتمعات المتمدنة

مبدأ تحديد النسل حتى اصبحنا نرى الناس يعتنقون هذا المبدأ بكثرة ، الاغنياء منهم قبل الفقراء زاعمين انهم لايستطيعون القيام باعباء تربية اولاد كثيرين ، فاذا كانت هذه حال الاغنياء فكيف تكون حال الفقراء . ؟

والحقيقة المؤلمة ان الفقراء لا يفكرون في تحديد النسل مطلقاً بل بالعكس يحاولون ان ينجبوا اكبر عدد ممكن من الاولاد ولتكن تربيتهم كما تشاء الظروف والاقدار

وفي البيئات الفقيرة يكون سوء التربية باوضح معانيه وتكون التربية المنحطة الشائنة باجلى مفهومها ثم يكون الاجرام والشذوذ بابشع صوره

ثم ان جميع العائلات العاملة الكادحة في اوربة وكثيرا من عائلات الطبقة المتوسطة فيها قد عمدت الى وضع اولادها في مدارس داخلية تهتم بامور التربية منذ الطفولة اذ ليس لدى هذه العائلات متسع من الوقت لكي تعنى بتربية ابنائها فاكثر اوقاتها موزع بين العمل وبين توفير شيء من الراحة والهناء العائلي لانفسهما

ولو ارادت هذه العائلات ان تعنى بتربية ابنائها بنفسها لاصبحت حياتها جحيما لا تطاق

وقد اخذت هذه المدارس تقوم بمهمتها بكل دقة ونجاح وفي الوقت نفسه لم يشعر الوالدان بان السعادة قد فقدت منها او ان عنصراً هاما من حياتهما قد انتقص

لهذا اعتقد ان ليس هناك غريزة تسمى بالغريزة الوالدية كما يدعي اكثر علماء النفس ، بل هناك غريزة جنسية فحسب ، وهذه الغريزة هي التي تأتي بالاولاد ومن ثمة يتحتم على الوالدين تربية ابنائهم لانه ليس هناك

من يقوم بمهمة التربية غيرها

فتربية الاسرة لابنائها وظيفة ورثتها الاجيال المتلاحقة ثم اخذت صبغة الواجب على الاباء ، وبامكان الاسرة في الاجيال القادمة ان تتخلى عن هذه الوظيفة وستتخلى عنها حتما عند ما ترى الدولة ان الواجب اصبح يحتم عليها ان تتولى هذه المهمة وهذه المسؤولية عن كاهل الاسرة وتوكلها الى اناس اختصاصيين تكون قد اعدتهم خصيصا لهذا الشأن الخطير . وذلك كله في سبيل صالح الجماعة وصالح الاسرة وسعادة كل منهما في آن واحد .

اما من ناحية العطف والمحبة والحنان على الاطفال فسوف يحاط الاطفال بينابيع غزيرة من المحبة والرعاية تعوض عليهم محبة وحنان والديهم . وتجعل المحبة تفيض عن نفوسهم ليسبغوها على غيرهم . كما يسبغونها على والديهم وهم سينشأون يحبون كل انسان وخصوصا ذلك الذي انحدروا من صلبه وبطنه .

فليس اذا من هذا النظام التعليمي التربوي ما يضعف حياة الاسرة او يبعد عنها عنصراً من عناصر سعادتها ولكنه يهيىء للاسرة حياة سعيدة وجوا خاليا من اوصاب الحوادث المزعجة التي بسببها الابناء لابائهم والاباء لابنائهم ثم انه يوفر للابناء اشياء ليس في ميسور الاسرة الفقيرة او الجاهلة ان توفرها لابنائها بل ويستطيع هذا النظام ان يفعل الشيء الكثير في مقاومة الآثار المفجعة التي تنشأ عن المعيشة في اسرة فاسدة او جاهلة .

فلو القينا نظرة على وفيات الاطفال مثلا في البلاد العربية لارتعنا من كثرتها المخيفة ولوجدنا ان اكثر هذه الوفيات هي من الاسر الفقيرة والجاهلة . ولوجدنا اكثر المشوهين واكثر المصابين بعاهات مرضية منذ

صغرهم نتيجة لسوء التربية الصحية هم الجاهلين من الطبقة الفقيرة والمتوسطة

واليك ايها القارئ ما قاله احد الكتاب في نهاية قصة صغيرة عن ولد شقي بسبب سوء تربية والديه واصبح مجرما سفاكا « ونعجب حينما نرى الطفل وقد خلقت منه اجهزتنا التربوية ، البيت والمخفر والمحكمة ، اقسى سفاح لا يعرف قلبه معنى الشفقة التي لم ينعم بها لحظة في حياته

ونرمي بالشذوذ مجانين الاجتماعيين حينما يطالبون بانقاذ الطفولة من براثن ادوات التربية الجاهلة لتسليمها الى اجهزة التربية الحديثة في عالم الغد المدرسة والملجأ الاجباري لسائر ابناء الطبقة المتوسطة والفقيرة (تلك الطبقة التي تفوق السمك في سرعة تناسله) وابناء الطبقة الجاهلة من الاثرياء

تلك الطبقة التي ان لم ينقصها المال لم يعوزها الجهل او الرعونة او التقتير لافساد نشأة الطفل وتحويله الى عضو مفسد في مجتمعنا المتداعي «١»

ففي سبيل ملايين الاطفال الابرياء وفي سبيل اصلاح مجتمع ضعف وانحل حتى تداعى ، وفي سبيل انهاض الامة العربية والسير بها قدما نحو العلاء يجب ان يسعى شباب هذا الجيل وشباب الجيل الصاعد واولو الامر فيهما لتنفيذ وتطبيق هذه الخطة والاخذ بهذه التربية والسير على نهجها القويم

جريدة النصر عدد ١٧٨٢

المراجع

في التربية — برتراندرسل — من سلسلة الفكر الحديث

الديمقراطية والتربية — لجون ديوي

اسس الصحة النفسية — للدكتور عبد العزيز القوصي

الوعى القومي — للدكتور قسطنطين زريق

في سبيل القومية — لجميل العلايلي

مبادئ التربية — س . هـ . جاكسون ، اسماعيل القباني

الإتجاهات الحديثة في التربية — الابراشي

التربية والحياة

الفهرس

صفحة		
٥		المقدمة
١٢	الفصل الاول	التربية
٢١	الفصل الثاني	اهمية التربيه والتعليم
٤٥	الفصل الثالث	الغرض من التربية
٥٤	الفصل الرابع	العوامل المؤثرة في التربية
٧٤	الفصل الخامس	البيئة الجديدة
٧٩	الفصل السادس	الفكرة ، مراحل الخطة التربوية والتعليمية
٩٢	الفصل السابع	تقسيم التلاميذ
١٠٦	الفصل الثامن	المعلم او المربي
١١٥		كلمة اخيرة
١٢١		الخطأ والصواب
١٢٣		المراجع

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	١٥	ضرورية	ضرورة
١٤	١٣	يعطي	يعطى
١٥	١١	المليئين	الممتلئين
١٧	٢	بحاجة	في حاجة
١٧	٧	بالمدارس	في المدارس
١٧	٢٠	في القاء	القاء
١٩	٧	المليئة	الملأى
١٩	١٣	اهل	هل
٢٠	١	يعود على	يعود الى
٢١	٦	تعني	تعنى
٢١	١٢	توفرها	توفرهما
٢٢	٢٠	من	في
٢٨	٢٠	و	او
٣٠	٣	تشتيت	تشتت
٣٠	٢٢	الولعين	الواعين
٢٦	٢٢	تنحرق	تنحرف
٤٧	٥	ملىء	ممتلىء
٧٩	١		
٥٩	١٠	الاحجار	الاجحار
٦٣	٩	نفوسها	نفوسهم
٦٣	١١	يريدونه	يريدون
٦٥	٩	نفس	نفسه
٦٧	١٥	الاضطرابات	الاضرابات
٧٤	٨	وسط	ووسط
٩٧	٤	نعني	نعنى
١١٢	١٨	ابناءه	ابنائه
١١٦	٣	تسلها	دخلها
١١٦	٤	المليئة	الملأى
١١٨	١٤	من	في
١٢٠	١	هم الجاهلين من	هم من

وهناك بعض الاخطاء الظاهرة وغيرها نتركها لفطنة القاريء

370.1:H19mA:c.1
حمام، حسن
مستقبل التربية في البلاد العربية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01021312

American University of Beirut

370.1
H19mA

General Library